

سلسلة تصدرها مطبعة الرسالة
العبث والتوهج
أبجدية الألم
الأوجه والقناع
الهروب
الأطلس الهجين
العاصفة
البؤرة والمدى
رملة
الخروج
صحوة الجسد
أحوال
التنفيذ المؤجل
خناثة بنونة

خناثة بنونة

# العاصفة



سلسلة قصص نسائية عبر الرحالة

2

الغلاف
من تصميم وإنجاز
محمد البركيلي

# العبث والتوهج

تتمايل الاوراق العليا من الشجرة بتوأدة ، ذلك لان الرياح كانت قد هاجرت الى عالم قصي • وكانت النافذة ذات الستائر المسبلة تتساءل عنها دون الحاح : ففي الداخل يلعب التكـــييف والضوء الاحمر والـــكأس الطافحة لعبتـــه •

تمايلت على الخصر بعد أن سوت الابرة على النغم المفضل فسار على ركبتيه راكعا يقبل القدمين الراعشتين • لمست قمة رأسه وقمة النشوة ثم أسبلت ذراعيها للاثمه الحنون ( أأستطيع أن أتأكد من هذا النصر ؟! ) •• اختطفت أناملها لكأس الموضوع على حـــافة المائدة الزجاجية وتجرعتـــه دفعة ، ثم انسكبت على السرير تقهقه بألم •

انفتح الباب وأطلا فقالت :

ـ أهـــــــلا

ابتسم الوجهان وأشع منهما فرح صغير صادق ، ثم جلسا :

ـ جئنـــاك في أمـــر •

ـ مـرحبـــا •

ـ انه خصوصي ، ومع ذلك نريدك فيه

ابتسمت لتداري المفـــاجأة قبل أن تجيب :

ـ لو أنني أستطيع

الرسمي هو كل ما هو غير انساني • والعلاقة الصميمة تهتك المستحيل والمباح • وأن يضعك الاخرون في منصة فيجب أن تكون أهلا لها والرسالات ، منها الكبيرة وحتى الصغيرة • وهذا الانسان عالم غريب من الاقتدار والعجز • وحينما يحبك الحب خيوطه الدقيقة والعميقة فكل السدود تنهار • وتلك الكتلة الهائلة من البحث الابيد عن المطلق والموضوعي تحيي الانسان وتقتله •

وأجاب المتحدث :

ـ لا داعي للتهرب •

ـ ابدا . ولكن •••

فقاطعها :

ـ نرجو المعذرة • اننا من جهة أخرى نريد أيضا أن نهاجم هذا الهجران الجديد لديك ، لتظلي من أنت : يدا ولسانا وحركة •

ابتسم القناع وتألم الداخل ، فتلك هي القضية : أن نكون ونظل ، كلنا ، لسانا ويدا وحركة ••

دفعت القلم في قفصه وواجهت :

ـ طيب •• أهناك ما يمكن المشاركة فيه ؟ •

انحنت عيذان بتفكير ، وارتفعت الاخريتان ، لقد أدرك الاخر فحوى البحث عن موضوع الزيارة المفاجيء لديها ، فاستدار نحو رفيقه الذي شرح :

ـ كل منا لم ينتسب لهيئة أو تكتل ، وحاليا نفكر في الموضوع بجد ، لهذا جئناك نستشير •

المفاجأة في العرض والموضوع • والزمن السياسي يطرح استفهاما ؟' وما اختاره يبين السبب والنتيجة • ومع ذلك أجابت دون تفكير

ـ تفضــــــــلا ...

ابتسم وجه وقطب الآخر :

ـ لكن لماذا الاجابة بهذه السلبية ؟!

مـدت بصرها الى الابعـــد ، ولم تخف :

ـ ألــي أن أسأل ؟

ـ تفضــــني

ـ لمـاذا حتى الان ؟!

كانت الادانة تغمر الجلسة والمكتب وحتى ضجيج الشارع الـــذي خفـت دوره .

التقت العيون الاربعة بدهشة . وأما عيناها هي ، فقد تراكمت فيهما عصور من التوتر والمواجهة والتحدي . لكن ، ان من يلتحق بمـــن قد مـــد يـده الى فتات المائدة فانـــه يكون قد ارتحل الى الضـــفة الاخرى مـــن الشعب . وأجــــــاب :

ـ صحيح أن هناك تأخيرا في الموضوع ..

فهجـــمـــت :

ـ مـع أن الاسباب كانت كثيرة .. كل الهزائم اليومية التي تقتل الحقيـــقي وتنبت عـكسه .

ـ نعـم نعـــم ..

قالها الاخر كدفاع ، كجدار هش يحمل سقوطه في وقفته .

ـ واذن ، فلمـــاذا الى الان ؟!

فـــداهــــم :

ـ انها الظروف : اليـــــومي وأشغاله

ـ وذلك سبب آخر من الاسباب ، كل تلك الامـــور الصغيرة التي تفتك بالقضايا الكبيرة هي مدعاة أساسية أخرى ، أليس كذلك يا محمود ؟!

كان محمود هو اللسان الصامت والوجه المفكر ، وتلك المسافة التي يبقيها بينه وبين الاخرين والاشياء ، كانت تجعله في شبـــــه أمان ، لهذا اقتربت منـــه •

نظر اليها ، ولعله كان يخفي قصدا ، لان الصمت ، صمته بالخصوص يحمل ما هو فجائي أو ما هو مرمى • ثم أجاب باستفهام أيضا :

ـ في رأيك ، والواقـــع الاجتماعي والسياسي على ما هو عليـــه ، **ايقتضي أن نعاقب على الماضي أو نفسح المجال للمستقبل ؟**

توقفت نظرتها عليه • كان حضورا مثقلا بما هو منطقي : فالى أي حد تصبح سلبيات الماضي حاجزا عن دخـــول المستقبل ؟ لكن ! ان ذهنا تحمله يطيل اضلاع القفص ضدك يا محمـــود • ولم تهادن :

ـ نعم •• انما والهيئـــات السياسية في العالم العربي على ماهي عليه ، قياداتها بالخصوص ، فهل سيكـــــون انضمام أي منكما مـوافقة أو تـــزكـــية ؟

ـ لا تلـــك ولا هـــاته •

× + ×

تتشابك الاذرع كالعرائش المهجـــورة • وبرد الثانية عشرة ليـــلا لا تحسه مثل هـــاتـــه الاجساد •

دق الباب حيث أطل وجه • كانت اناقتها جواز الدخول الى علبة من علب الليل • الدخان والحرارة والصخب هي المراسيم الجديدة للحيـــاة

المهزومة • بعد أن جاس انكب على وجهها وابتسم ، كان يريد أن يقدم لها المزيد ، أن يحشرها في وهج الاقبية الليلية ، أن يفجر من حواليها شبق الزوايا والثمالة وخفايا الجسد •

ومن ثم لملم أذرع بذلتها وصمها الى صـــدره في رقصة وحشية الوقع • كان الشوق فيه الى الانثى هـــو الاساس ، ومن ثم كان يدمر مـا عداه • الدمية أساسا هي المطلب في العـــناق والتوحد • وكان الخوف من عودة الاخرى فيها يزرع فرحته بفزع مغلول •

الكؤوس تتوالى بعد الكؤوس •• وهي تتشرب الـدوخة والمجاني وعنفوان قامته • احرق الاساسي يا بطـل السلبيات الحديثة ، فالعالم في الخارج يتماوج – آه اسقني – يتماوج بالتناقضات والفرح الهجيـــن •• وبطل أنت اصبحته لن يخوض غير معركة الزوايا والكهوف •

تقـــدم آخـــر :

– أتسمحين برقـــصة •

ابتسم القناع أيضا ونشج الداخل • ( تفضل ) وقت طويل وأذرع كسلاسل الـــرعب •

عيون الاخر مسكونة بغيرة بدائية ، وهي ما عليها الا أن تضع على وجهها بسمة اصطناعية ، كهذا الضوء المتغير الالوان واللحن المهزوز والحركة الدموية •• من قبل باركت الظمأ ، وهاهي الان تكاد تخطو نحو الاستسلام لتكون الانثى النموذجية للفحل المخصي : فيا أهـــل الكهف أما يكفي ؟ •• الصرخة خارج عالم الصم وهذا الهدير الصاخب لماذا يمزق الظاهر والباطـن باصرار ؟! سألت القدود ، والصبا ، والزمن الآتي ، وكل مرافق الحاضر ، وظل الكأس في الاخير هـو الجواب ( اشربي ) •

اكتست القاعة بتوقع أقرب الى الفضول • انما لا علي ، فلقد سبق لي أن بررت موقفي أمام الاختيارات الجديدة ، لهذا تركت للحماس العـــام أن يغزوني بعد أن كنت سلبيا تجاه كل ما يثير •

وانصت مع الاخرين الى صــــوته المبثوث عبر الخطابة البارعة ، حيث تخدر الجمهور بلذة ، لكنني بقيت هناك في الماضي القريب ومعي بعض استفهامات رغم حديثه الحيوي الـــــذي يحكي عن الحاضر ، غير أن هـذا التداخل الزمني وتداخل الاحداث وتناقضـــها رماني في تشابك مشوش . ذلك أن من يتابع الاحداث والمواقف ، يسمع هـــذا ويرى عكسه ، فانه لـن ينجو مثلي من ذهول عسير يكـــاد يعصف بي ويرميني الى حافة السلب . والا فيجب أن أصرخ وأستغيث ، أنا ، محمود عبد المغيث ، لاتخلص من هذا الحزن الذي أطبقت عليه الان حناياي .

والبكـــم ما حـــدث :

كانت خطبته في الجمع العام تساند القضايا الوطنية والقومـــية والانسانية : الصحراء المغربية ، والقضية الفلسطينية وقضـــايا العالم الثالث . دموع الداخل تعمق الغضون في القلب ، لكن الخطابة لن تغير من الحقيقة شيئا ،فعلى امتداد التاريخ تبقى القضايا الاساسية تسير رفـــقة الزمن الجديد ، لا تتأثر بحربائية السياسة وتناقضها ، لان الدم هو قلـــم الخرائط الحقيقية . غير أن الجروح هي دلائل العافية حينما تبقى الاجساد تتوجع من محاولة تحريف الوضع الجغرافي في تلك الخرائط نفسها .

× + ×

استيقظي يا دروب المدينة النائمة بين أذرع الحانات والاقـــبية المظلمة ، وتوقفي عن الترنح يارجلين تعبران الظلمة مجددا . البلية غيـــر أساسية ، وقحط العالم غير طبيعي ، ومعالجة الخسران بمثلــه أليس جبنا ؟ أجيبيني يادروب الدمى والاشباح وقـــولي هل يمكن تفجيرهـــا من صمم الواقع المفتعل . ( اشعل لي ) . اشعـــل لها ثم رمى ذراعه حول خصرها يساند اضطراب الخطو . آه ! كم أحس بظمأ لا ارتواء لـــه .

ـ ألا نشرب كأسا أخرى ؟

ـ دمــــا تريديـــن .

« النصر نصر حتى في الهزائم عند بعضهم ! » • قادها نحو السيارة وهو يحتضن نصره في الظمأ هذا • يتلمس راحة كفهـــا كامتلاك واعد • الاصرار عند كل منهما مختـــلف ، لكن الان •• الظمأ ، القحط في هذا الواقع ، والظمأ قد ابتلت به حناجر اضافية • لكن أين أنت يابطـــلا مبثوثا في رحم الارض والشعب ؟؟ تابعت السير جـــريحة يرافقها بــرد الاعماق وحزنها والعطش •

الحزن تصلب في المكان •• وعلى القنينات والكـؤوس والعزلة • أما الهدير ، فهو في محطات نائية وحنانك الناعم لا يبعدني عن الرحـــلة المنتظرة اليه • مد الكأس اليها • الــكأس نفسه يغني حزنه وهي وحدها تسمعه • آه يا وطن الشوق والخيبة والبطـولة المؤجلة ، كيف لي بادراك العلاقات من جديد للوصول الى المحطة النائية ؟

– اشربـــي

– انه صوتك وجسدك ، حيث المتكأ الموقت ، لكن قــــدني خارج الدروب والعتمة ، فجرحي يعتصرني والصحو قـــد حضر •

– فـــم بذـــا

فتعجب :

– لمـــاذا ؟! انها رغـــبتك في أن نشرب كأسا •

– لكن « ياسعيد العمــــر » ألا تعرف أن النـــار الحقيقية تحسم الادوار ، وأن القتل هو قضـــاء التغييـــر •

– ••• ماذا تقوليــــن ؟!

– اقــــول لــك دعـــني ••

فالاجساد حينما تصبح مخصبة للارض ، فان الثأر البدائي يحقق تاريـخ القطيــــع •

ـ أيتها العزيـــزة ·· أعدت لعذاباتـــك ؟!

ـ بـــل عرفت مـــا يلزمـــني ··

ـ ألا تكون الكأس ··

ـ لا أبـدا · لقد كانت مرحلة وكفى ·· أبـــق لها أنت ، للاحتماء بها من وهـــج اليـــومي واتـــركني ·

ـ كيف ·· كيف ؟! وأنا لم ألتق بك الا بعد انتظار عمر ·

التوحد بالقضـــية أساسي · والتـــيه عنه مضيعة اضافـــية · وأن نظل نبحث عمن يكون بطلا عوضا عنا بين تلافيف دخان السجائـــر وعتمة الاقبية ودلال السقاة وأحرف الكتب فان عمر المعركة يتمدد ··

الظلمة أسفل الدروب وفي القمم بعض التباشير · الخطو يتواصل وهو يتكلم بما لا تسمعه والثقوب البيضاء تخرق السواد ، لتتالـــق من بعد ملامـــح الفجـــــر الاتي ··

× + ×

أفاق المكان من سكونه على دقات صغيرة :

ـ تفضـــــــــــــل

فانفلـــق الرتـــاج وظهـــر :

ـ آه محمـــــود ·· أنت ؟!

وهمت بتحيته ثم تراجعت أمام جمود نظرته ، ووقفت أمام النـافذة حيث السماء رمـــادية خانقة · قربت وجهها من السيـــــاج الحديـــدي ، واستنشقت ملء رئتها هواء ·· لا ، لن تصرخ فما في الخارج وفي الاعماق هو عالمها الخاص والعام ، لهذا استدارت بخفة ونظرت اليه بشغف طرى ·

ـ مـــالــك ؟!

فداهمها سكونه المطبق . وكانت تعرف صمت البراكين ودمـارها الواعد ، لهذا طلبت منه أن يترك وقايته وأن يصرخ .. فتفجرت الدموع :

كان هذا الرجل يبـكي بصدق . فامتدت أصابعها تمسح دموعه وكثافة حزنه . آه يافتى لم تتحمـــل تجلياته خيانة الشعارات والمبادي، والرؤساء والمصطلحات الكبيرة : فماذا بك ؟! ابتسم بعذرية وهـو يرنو دون مرمى :

ـ أتعرفيـــن أنهم يجعلون الحداد خـــوذة للمعارك المزيفة التي يصنعـــونهـــا لنـــا ؟!

كان وجهه مغلقا ، وكانت في شوق للقياه في العراء :

ـ أهذا كل‌شيء . وضربت كفا بكف بحزن ناضج غير مبال :

ففغر فاه وهو يحملق فيها ، فأضافت :

بسيطة .. كل هذا لانك كنت مسكونا بالوجه المثالي للريــــادة والراشدين .. خصوصا في عالم كعالمـــنا ، مسخت فيه الادوار ، مـا دام دور الممثل الحقيقي لم يؤد بعد : دور هذا الشعب العظيم .

هاته المرة رنا اليها مباشرة . كـــان كأنه لاول مرة يحـاور طرفا موجـودا . وسأل :

ـ وأين هو ، هذا الشعب الذي تقولين عنه انه عظيم ؟!!

ـ انه أنت .. كل هذا الجيش العرمرم التائه ما بين محيط وخليج ، الذي شردته الهزائم والانظمة ، فشرد نفسه بين كـــل الادواء العصرية علـه يسلـــو .

وأجهش في بكـاء صامت .

الابطال غالبا لا يذرفون دموعا مرئية . وهل يعقل أن في ساحتنا لازالت عيون تملك أن تـذرف ؟! . سارت في مساحة المكتب الضيقة طـولا

وعرضا • كم تكره البكاء والبكائين : لقد علمــــها الماضي أنها ، الدمــوع ، ليست سوى زيف أو مداهنة أو غلبة أو حزن عريق يهز الجـذور اللامرئيه للوجود المطلق • وأخيرا وقفت أمامه كشفا عاريا وطريا من الحزن الابيــــد أو الفرح البليد ، فنملكه شعـــور بأنه لا يستحقها : امرأة تتعشق ثــورة القطيع دون بهلوانيات من محترفي القيادات والمواقف •

وقــف : هاته المرة استطــــاع أن يقف حركة ومضمونا • فوقفت في مـــواجهتـــه :

ـ الخيانة ، ممن هي أساسية فيهـــم ، لا تستحق انفعالا أو رد فعل • فلماذا نظل نحن ، هذا الشعب وهذا الفرد العربي نلبس لبعض منا لبوسا أكبر من حجمه ومن الواقع ، مطابقا فحسب لحلمنا ومطمحنا ، حتى اذا انكشف حجمه الضئيل ، دمرنا النفس في خسارة أسطـورية على هذا الكشف الاليـــم •

وتكــــام :

ـ ولكن حتى هم ! أولئك من نعتقد أنهـم آخر من يفعل !•••

ابتعـدت عنــه قليــــلا :

ـ شرح الخريطة السياسية وضــــع البيادق الكبيرة والصغيرة فى أماكنها ، ثم استعرض الاحداث واستخرج النتائج ، فماذا تجد ؟، فلــــو كنت فعلت ، لما حصل لك هذا الغليان نتيجة تناقضات القيادات السياسية الرسمية والحزبية -

ارتبكت نظرته قلـــيلا ، ثم تركزت في نقطة مفـكرة • كان كأنـــه يحفر في الماضي والحاضر ، ويجمــــع ما يجد • وكانت ملامحه تفضـــح رحلته ، غير أن قصفا راعدا غير منتظـــر في السماء ، جعله مع الطبيــــعه وأوراق الشجرة والرياح والستـــائر يرتعش •

فنظر اليها بتركيز ، ثم بعد وهلة سأل بحـــدة :

ـ والان ؟..

فـردت اليـــه نظـرته :

ـ الم تقل أنت نفسك من قبـــل ، ان انضمامك لتلـك الهيـــئة السياسية سوف لا يكون مـــوافقة ولا تزكية ؟ ..

وفي دوامة القلق والبحث وجد نفسه يسأل كمن يستغيث :

ـ لكـــن الآن ..

وبتعاطف انساني مجدي عظيم ، وجدتها تقول دون فكرة النصح او التوجـــــيه :

ـ حينما يؤدي المرء ثمن مخاضه بطريقة من الطرق ، باحثا عـــن سبيل من سبل تغيير الواقع ، فان عليه أن يفتش عن خليته الحقيقية وأن يبدأ ، كما يجبأن تفعـل وأفعـل ....

# أبجدية الألم

لم يكن هناك ما يبعث على الطمأنينة • فالغرفة موحية بدهشة غير متوقعة • وكانت مائدة الاكل تحتفظ • أطباقها • والكأس العاشر يتجرع كله • وفي الركن القصي يلعب السرير لعبته • انما الستار لا يسالم ، فالرياح الخارجية تتسلل لتجعل النسمات تغزو الدفء •

ـ قد يحضر ؟ !

وتتلمس الانامل شعيرات الخد الدقيقة وتحنو • كم مرة كانت تلاحظ : ألن تحلق وجهك بعد ؟ فيرد بفرشاته المغطوسة ألوانا ( انني عديم المزايا ) • ولكنها مع ذلك ، تقيم مع ذلك النتوء الاملس علاقة ودية ، تثير فيها دغدغات خفية • تذكرها بأن ذلك الخد لرجل •

عقرب الساعة لا يسالم • وكان خمود نعسان يطغى على ما قد يفاجيء • فأن تعيش حياتك • جزءا منها ، ناسيا كل الخارج ، فقد انتصرت : على المتداول ، على المثبط ، على العدواني ، على المؤلم •

ـ من ؟

وهلع صغير يطل من شرفتي الوجه • دق على الباب • قد يكون هو ؟ حمل قامته وأوسمته ومسدسه ومزاياه ونفقاته المستمرة ويدق •

ـ ما العمل ؟!

ـ افتح له

ـ ولكـن ٠٠٠

ـ الست رجلـــي الاول ؟!

ـ ولكننا افترقنـــا ، وأصبح هو من في حياتك ، ينفق ويستجدي حضورك في حياتـه ( الباب يضرب بهدوء والساعة تدق الثالثة صباحا ) فالبيت ، بيته ولو أنه لم يأخذ وضعه القانوني بعد ٠

هزت رأسهـا بلوعة ٠ ولم يكـــن أي شيء يمكـــن أن يستأثر برضاها أو اثارتها غير أن تواجه هـــذا العالم الشرس ، وتبحث لهمـا ، الغريبين الوحيدين الفقيرين ، عن ملجأ ٠ فمن قبـــل ، لم يكن وعيها من النضـج ، بحيث تعرف مــــا معنى المصير أو الاختيـــار أو الواجب ٠ لقد كانت تقف عند مشارف الـــبار ، تثلج الصدور الحائــــرة والمهمومة بابتساماتها وكاسها ٠ ولم يكن الرجل فيه يقبل ، فتخلى عنها وأخذ يبحث عن الشرف في عالم عربي نحر شرفـــه من عهود ٠ غير أن مرضـــه رده اليها ، فتخلت عن البار ، ونسيت أن هنـــاك غيره ٠ من يـــدفع الكراء والمأكل والملبس ويرجو شرعية العناق ٠

أخذ المفتاح يجول في ثقبه ٠ وكان لا بـــد للقفل الاخر من يـــد تزيلــــه ٠

هدهد كتفيها وأعادها الى الفراش ، وواجه قدره : قـد تكـــون النــــهـــاية ٠

مد يـده وأزال القفـــل الاضافي فامتلا فراغ الباب بالقـــامة المكتملة ٠ تزحزح له عن الباب وظلت العيـون مسمرة في بعضها ٠ لـــم تكن هناك من لغة صالحة للحـــوار أو التفاهم ٠ لقـد كان جمود أخرس يغرق الالسنة في مستنقعات الصمت ٠ ولم يكـــن هناك ما يلزم شرحه أو ما لا يمكن شرحه ٠ ففي لحظة شاذة يمتزج فيها الفهـم بعدمه والرؤية بضدها والوضوح بالظلال وما يكون وقد لا يكون ، ليكون الانسان حينذاك نفسه : المزيج العجيب للتناقضات الموضوعية والميتافيزيقية ٠

انحدرت عيناه الى الوسط ، أيـــن المسدس ؟ لكن ما الموت وما الحياة في هنيـــهة الزخم ؟! وكانت هي على الفـــراش : أنثى وكفى ، مخدرة بعبير نشوان غارق في عدمـــية مطلـــقة ٠

ارتعشت القامة الصغيرة ٠ فانسحبت القامة الفارغة ٠ واستبـد بكل الغرفة انشداه مفـــاجيء ولكن الصـــمت الارعـــن ، الصمـت اللامبالي كان هو الرديف الاخـــر ٠

انسل الى الفراش فانسل الدفء والتوتر الحميمي ٠

وغامت الغرفة في نشوتها ، وأصبحت العيون مستظلة بأجفانها ٠ وكان رضي : أهاته هي الـــراحة ؟! وفي بحبوحتها واللاستفهام غـاب الوعيان معـا ٠ غير أن وعي الاخـــر كان يدفنه في ركن قصي من المدينة العـــاهـــرة ٠

مد يده الى جيب سترته وأخـــرج ورقة : خمسة عشر يوما في فرنسا للتدريب ٠ اذن عليه أن يقول لها كلـــمة ٠ جمع ما تبقى من وعيه خارج الخمرة وتحـرك ٠ وكان الباب نفسه في مقابلـــته : من يكـون ؟! أخوها ؟ لا شبه بينهمـــا ٠ من الاســـرة ؟ لم أره من قـــبل ٠ فمـن يكـــون اذن ؟؟

دق الباب وانتظر فتحـه والجواب ٠ تخطاه بوداعة لا تتوفـــر في العسكريين عادة ، فشجاعة القدمين تخترق المسافة لتصل حافة السرير ، قبل الرأس واستفســـر : من يكون السيـــد ؟؟؟ ٠

ــ زوجـي السابـــق ٠٠٠

كان الاخـر هو والمصير على المقعـد ينتظران ٠ الصوت عـــادي والغرفة والحركة ٠ ولم يكن هناك ما هو خارج نفسه أو غيره ٠

انتظار ٠ ودون تمهل ، كما يسقط المطر مدرارا بعد جفاف سنين ، انكبت قبلاته على يد الجالس تنعشانـــه ( سامحني ، فمن مـــدة وأنا

أسألها عنك ؟ كيف هـــو ؟ أريد أن ألتقي بـــه ؟ كل هذا لانها تحبك .
وأنا لا أستطيع الا أن أحـــب من تحب . انما اعـــذرني ، لم أعرف أن
أتصرف في مجيئي الاول ولو كنت عرفتك من قبل ، لما كنت قد رجعت .
علـى أي سأبقـى بعض الوقت قبل أن أغادر : سأسافر خمسة عشر يومـــا
الى فرنسا ) ثم انكب على المقعد أمامه . غيـــر أن بوصلة الاخر كانت
قد فقدت اتجاهها . فحيثما ادار وجـــهه لم يدرك ولم يتأكد أين هو ؟
فمن هذا : غريمه أو خصمه أو نده أو ضحيته ؟ يعرف أنه يأكل مـن جيبه
أحيانا ويلبس ، ولكن أن تكون المسألة الى هاته الدرجة فكيف يفهم ؟! رفع
نظرته اليه وابتسم . ليس أمامـــه الان غير أن يسالم هـــذا الغموض
المطلـــق ، وتحـــرك :

تمـــدد على فراش جانبي وهـــو يخاطب الوضـــوح وعكسه :
هذا العالم ، ماذا يحـــركه ؟ الحب أو البلاهة ؟. ثم أغمض عينـــيه :
انما كان في نفسه سؤال ملحاح : ما هكـــذا يجب أن تسير الاشياء .
داخل الغرفة أو خارجهـــا ...

# الأوجه والقناع

تتماوج الرنات في فسحة البيت وبين جذائل الصفصاف • وكانت سيدة النشوة تتابـــع ترنيماتها بهمس • بينما أوتار الكمان تغزو فخامة المكان لتلين من وقع غزوه للعين والذوق • على حـــين يأتي الناي مسالما يتمسح بالرنات ليحدث تناغما متناقضا متفقـــا ، يساعد الكأس على أن يفعل فعلـــه مرتيـــن •

وحينما أصر الناي على أن يترنـــح في أكبر مجـــال • أسكتت الدفوف هديرهـــا • فتمازج المنظـر والنغـــم مع بعض • وأخذ الجديـــد بتلابيب اللحظة • وهامت الاذرع على الاعناق • وتناثرت على الفسيفساء والازهار غمغمات قبـــل •

ووقف • ان الاطار قد اكتمـــل : سقف البيت الزجاجي المزخرف ومزهرياته البلورية ، والاثاث الفخم وكـــل الوجوه المحكـــبة على النشوة بلفحات ظما محـــرق •

وتساءل : فمن أنـــا ؟ ثم تذكر بأسى : الصبا وتربة الحي وزعيق أمه وصرخات الشيخة في حفـــلات الحي ••••

× + ×

قرب الولاعة وأشعل • وكانت رجـــلاه لا زالتا ممتدتين أمامـه على المكتب ( عفـــوك ) ثم أضـــاف :

– انهم لن يتركونا نسير في رحـــلة البحث عن غد هذا البلـــد ، فما معنى ألا يتركـــونا ننضو عنه هذا الركام مـــن الاتربة والتخلـف ،

فتصور أنني تلقيت بالامس تأنيبـــا بالهاتف عن المقال الذي كتبته حول الانتخابات ٠٠ اذ لا ندري هل هم معها أو ضدهـا ٠٠ لكن الشارع ضدها ، وهم من يتصورون أنهم يمثلون الشـــارع ، يجب أن يكونوا صـــوته ، لهـــذا كتبت مـا كتبت ٠

قهقهه الاخـر قبـــل أن يعلـــق :

ـ اتقصد مقالك المنشور أمس الامس ؟

وحينما أشار له أن نعم ٠ ازدادت قهقهته قبل أن يضيف :

ـ هل تعتقد أنك أنت كتبت شيئـــا مع أو ضد ٠٠ ان كتابتك لا تخرج عن أن تحـاور كل المواقف ، وأي موقف ارتفع فـوق الماء وجدت مـــن مرونة الـكلمة في كتابتك ، أقصـــد من حربائيتها ، مـا يجعلـك تصيح بأنك وضعت أصبعك من قبـــل على استنتاجات الاحداث عـبـر ارهـــاصاتهـــا ٠

ثارت ثائرته العادية ونهض ٠ وحينما تأكـــد ، وبخـفة ، من ان الباب مغلـق ، راح يبرر لنفسه وللآخـــر اخفـــاقه في اقناع نفسه بله الآخرين في جدوى أو عدم جدوى ما يكتبه ٠٠

ـ أن تصـــرخ ، أن تبـــدأ بالاغتـــيالات ٠٠٠ كــــــــل ذلك ، هو ، وما هو اهم منه ، واجب في مواجـهة هذا الخذلان المنمـق ، هذا رعد في وجهه :

ـ الحقيقة أن مكانك في صحيفة أخرى غير هاته ٠

ربت على كتـفه وقهقه ، كان قـد أهمـل جـوابه هاته المـرة ، ثم أطل مـن النـافذة ٠٠ انـــه يحن للحظة الآتية : البعيـدة عن الكتب والمناقشة ، خصوصا أن ما أرى أو يرى أمامه هو عالم خياله ٠٠

انك مزعـــجة بشكل غير طبيعي ، فلست قيـــادة مقنعة حتى تضعي نفسك في هذا الاختبار الصعب • فما معنى ألا تحضري الحفل ؟ ، احتفظي بأفكارك وسطهن ، وكــوني كالاخريات •••

وصوتك السابق ، صوت الماضي ، حينما كان يعترف .

مزيتك أنك لست شكلا دون مضمون ، ولست خطوات دون دلالة ، ولست حضورا دون تصعيــد ••••

كانت تصر على ألا تحضر •• فمثـــل هذا الحضور ، بل تكراره في حفلات طبقة معينة ، يدجن كثيرا من الخطوات والافكـــار ، ويجعلــك ضمن قافلة الرحلة الفـــاشلة •

وانضمت اليه بهيجة : سيـــدة سوق النخاسة :

ـ دائمـــا تنظرين الى ما نصنـــعه من سهرات أو نشوة مـــن عل •• فلمـــاذا ؟! •

فحملقت في البائعة والمشتري بعيـــون مسكونة بالـــرعب • وخافت ان يستيقظ فيها ذلك الرفض الحرون الذي يصر على احراق الظلمة بالشموع ، لا لشيء الا لضرورة وجــود المحـــاور الحقيــقي •• لكنـــه الان ماله ؟ أهـــو هـــو ؟؟ •

وأجـابتـــه :

ـ لست قيادة اطلاقا ، لكنني لست تاجرة فيمـا لا يتجر به ، كما أني لست صاحبة لغات ومصطلحات ومـــواقف متعددة ••

كان يعرف مجرى نهر مـــن الانهار فيها ، ولهــذا خاف تياره ، فابـــــدل :

ـ انني فحسب أريد أن تتنفسي عنك قليلا •

فداهمها ركود أمات الرغبة فيها ، اذ الحربائية تقتـــل الصوت والابعاد ، يودت لو تصرخ ، غير أن فمها ظل مطبقـا حيث أن التواطؤ قـد بـدأ من مــدة صولتـــه ٠

دق ، دقـدق ، دقدقات ٠٠ والارجل تلطـم وجه مائدة الـرقص ، والآلات الموسيقية هي أوج هياجها ، وصبـاح تتلوى وتتفجر ، وجسدهـا يتلاشى بين أذرع نغم الآلات العقيم ٠ وهـــو ؟ في مواجهتهـــا يحسن التواطؤ ٠ الصوت يصارع في الحلق ٠ وأين الحصول على الثابت ٠ والعالم مضطرم في الشرق والغرب والعالــــم الثالث يحاول أن يدفـن الاصوات العصية في دقات الكعب وكؤوس الشمباني والنظرات الداعرة ٠

كان فتيل ملتهب يمتـد من فكرهـا يريد أن يحرق الزائف والقدود المغناج وأشباه الرجال ٠ وكان الحزن يتماوج بين محيط وخليج ٠ وسوق النخاسة الدولية قد باعنا بأبخس ثمن وبهيجة ترميه بنظرة : ( أأعجبتك ) فكسر مألوف الطبقة وتشجع ، ثـــم امتطى مائدة الرقص وأخذ يتلـــوى ويتمسح بتثنيات صباح المغناج ، ( يكفي ) صاحت بهيجة ٠ ان موازين الطبقة قد اضطربت ٠ فهو قد تعامل مـع الفن الرفيع ومع هـاته الطبقة بمثل ما اعتاد أن يتعامل به مع الشيخة الحاجة اعميشة ٠ فرمى رجليه عن المائدة والعيون تبهـره باستنكار أخرس ، ولكنه كان قد عقـد العزم على الاستئثـار بصبـــاح ٠

ا

ـ متى تعلمت الفـــرح ؟ ٠

أما فرح هذا الشعب فهل سيظل الى الان موقوفا بيـن الانتفاضة المنتظرة والوصول المؤجل ؟! ٠ وفرح هاته الطبقة هو فرح الحواس فحسب ٠ كانت مكتظة بالغضب نتيجة الواقع والافكار ٠ وكـــان هو والجو العام يحاولان أن يقسراها على الامتزاج بالحلبة ٠ وكانت تعرف أن سنة الحياة

هي أن تجري خارج هذا الديكور الارستقراطي • غيـــر أن القهقهة الحـــادة لبهيجـــة كانت ترميها في وجـــه طريدة أخرى ، لان سوق مبيعاتـــها كان قد دخله شيء من الكساد •• وهي كيف تستعيض عن الاخوان الصاعدين من البداوة والنفط هاته المـــرة •• لهذا استغلت فرصة عـــائلية لتجعلها ســـوق اشهـــار •

واستل هو رمحـــه في وجهها :

ـ ألا تشربين كأسا ؟!

ـ كان قـد طلع بغتة من غيـاب متخم بمبيعات بهيـجة ، وكان يتطاول كطاؤوس أضاع ريشه الزاهي ، ومـــع ذلك يريد أن يصنف قسرا واستثناء مع هاته الطبقة • لهذا أصبح الان صوتهـــا ، بل صوت تعاليها الرخيص وهو يمسك بها في دوامة الاسى الصامت •

ـ تعـــرف أنني لا اشـــرب

ـ آه نسيت أيتهـا البتول !

لكنها كانت تعرف أن ارادتهـــا العصية ، لن يهزمهـــا أي ارتداد ضعيف ، غبر أن انما صاعقا غمرها ، فصاحت بـــه :

ـ مزيتك أيها الرعديد أمام الابهة ، أن تملك لكل اطار لسانا ولكل المساحات خطوات خاصة ••

ومع توقد حرارة المكان والجســـد ، فضل أن يحتفظ باطار المكان وأصحابها حتى لا يتعرض لغضبة أحـرى ، لهذا أشار لبعضهـم محييـا ( سالي ) بينما اشارة خفية من عيني بهيـجة جعلته يقـول :

ـ مالك أيتها الحبيبة دون مزاج ! •

وأمام أخلاق المرابين ، ودت لو أسلمت نفسها للازقة والشوارع ، لو فتشت في أتربتها وبين حصاها عما لايتبدل ، عـن الصميمي في الشيء

العواطف والانسان ٠٠ عن كل مالم ينهزم ٠٠ وحينما استردت بصرها وجدته قد غاب هو وبهيجة ٠

جمع عام

وأين المسار ؟

المهم هو نحقق الهدف ٠ لكن الاختيار أساسي ٠ وانتخابات مثل هاته في ظروف مماثلة هل تستطيع أن تعالج التخريب ؟! وهذا انهول العام أيحتاج الى انتخابات أم الى هدم وبناء جديدين ؟؟ وأن يتبدد الخطو الفردي والجماعي في معارك غير حتمية يستهلك الجهد ويؤجل الهدف يعتبر ادانة ٠ وهاته الاحزاب أتحسب حسابها الخاص أم الحساب العام ؟! ٠٠ وأينك أنت يا من لا حسنب عنده سوى حساب الغد والشعب ٠ والغليان العام لا بد أن يكتسح المتخمين ٠ وأن تحدد موقعك منهم فكرا وسلوكا شرط لكل موقف وتغيير ٠ لهذا صاح علي به وهو يطالب باحترام ثوريته في المقال الذي سبق أن ادعى أنه بلغه تأنيب بسببه :

– أتريد أن تجعل من نفسك بطل الثورية وضحيتها ٠ لا داعي للشكوى حول موضوعك عن الانتخابات ٠ ان خطورة تناقضات أمثالك هي التي أنبتت هذا الانحراف في اتجاه الموج العام ٠

تفرس فيه وهم أن يتشبث بدفاع ٠ غير أن عليا كان يملك منطلقا وهدفا واضحين :

– ان هاته الافرازات للبرجوازية الصغيرة هي التي حرفتها عن دورها والنجاح فيه ٠ فما تقول وأخبار تعلقك بأذيال وممارسات من نحاربهم كطبقة تزكم الانوف ؟! ٠ اندهاش ٠ والحملقات تتجمع حوله ٠ وكانت البلبلة أساسا هي مؤشر لاندحار اضافي ٠ وخيانة الدور قد تكون سلوكا أو مقايضة ٠ وهذه الثورية « العصرية » هي ما تلمس الثورية

الحق • والانتساب لكل الطبقات لا يخدم أية طبقة • والخيانات الصغيرة هي مجمع للخيانة الكبرى • واستمر الجمـــع ••

× + ×

. كانت السيارة تجري • وكـــان الوجهان في تعارض • والحزن الكثيف يفصل بينهما • فما اللغة وما الغضب الراعش وما الانتقام الاخرس وما الثورة الجذباء وما العشق المخذول ؟! •

ـ قـــــف •

كان بعينيه يستجير • انه هو نفسه يحمل هما : فلماذا ضاعت منه صباح هاته الليلة ؟ لقد وجدت لها بهيجة زبونا مثقل الاعطاف والجيوب • ثم من هذا الوجود المعبأ بالاحزان الكبيرة الذي يجانبه ويأمره ( قف ) •

الظلمة في الليل والسيارة والصوت • اتــكأت على الباب واللوعة وبحثت بعينيها ووسط الخراب عن بصيص • أين أي ظل يا توحدي ؟! • كانت اللغة انحدارا اضافيا • فالاقـلام والاصوات عندما تتحدث فيـــما انتهك فانها تمرغه في المتداول فحسب • لكن هاته الارض قد مات فيـــها حس المحبة والارتواء بالفرح من عهد عمر • لكن أن ترحل الى ساحة الحرب في الداخل والواجهات فلعلك تسهم في اعادة الشوق والعشق للوطن والناس انحنى بصورة أكثر ، انها مزيته أن يفهم صمتها ويسمعه • لكن هذا اللغم المدمر لم يكن يتوقعه • غير أن الطريـــق كان ينبلج من ضيـــق السيارة وظلمة الليل وضجة العمر • فما العمر اذا كان يهرب دون اضافة أو تغيير • غير أن الشوق للاتي يحررك من حزن الحاضر الى فرح الدم في الآتي : ثـم فتحت الباب وانطلقت حيث اصطدم وجهها برعشة برد لذيذ ••

# الهروب

ياتي صوت المذيـــاع من الركن دون حـقيقة ، ومع ذلــك كانت نركن اليه باحثة عن منفذ : هذا العالم أتراه لا يــــزال يتحرك • زلزال الشرق والغرب • انخفاض سعر الذهب ، ثورة السود في الجنوب ثم •• علي أن التقط أي خيط سري لعل فيـــه ما ينبيء عـن التطورات الخـفية للقضية الاساس • الشرق العربي نفسه •

الـــــدرب :

الصفصاف يتطاول برتابة بلهاء ، والشمم اذا جمد لمدة اصبـــح صوتا قاسيا • وفي الاسفل كان الصغار يمرحون ، رمى اليه الكرة وقهقـه لانها ضاعت منه فالتقطها علي • جرى اليها وكان بدنه يرشح •• اصطدمت ركبتا سعيد ومحمود ولم يقعا • عادت الكرة تتقافز بين الايدي ( استحيوا يا أبناء فليس الحي ملعبا ) ، ارم من هـنا ، عن جانبه الايسر ، بالضبط ألم تر ، تخلص من بطنك يا أخي ( صغار هؤلاء والله ، فآذانهم لا يبلغها شيء ) أولا ، اصابة • وتعـــانقت أكف وأعنـــاق •• وعادت الكرة هي السيدة من جديد •

وفي الركن كانت الواجهة مقبـــرة ، والمقاعد من خلفها مملـوءة بالاجسام • كؤوس وكؤوس ، وبائع الجرائد يسرد جريدة في هاته الطاولة الى الاخرى ، ويتقاضى مقدما • أمـــا أغلب الطاولات فلعـبة الورق هي المستأثـرة • تحرك النـــادل وصاح ببائع الجرائد أن يخـــرج ، فليس هناك من طـلب ، وكان الذباب هو المتحـــرك الاساسي في المكـــان • قال النادل لصاحب المقهى • لو تشتري لنا مبيدا للحشرات لازداد الزبائن بالتأكـــيد ، فاحتج السيد : ومتى رأيت طاولة فارغة في مقهى ؟!

هــو :

أيها الناس ، من شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن رأى منكم المنكر فليباركه ، ومن أراد منكم الحقيقة فليبع نفسه للشيطان • تحلق الصبيان حوله وكانت كلماته غريبة ، مالكم أنتم ، استمروا ياجيل الكرة ، ان الصوت الصعب لا يهمكم ، السهل السهل يا أمة الظلام ( ولكننا لا نفهمك يا عم ) ( وهل فهمت أنا شيئا يا ابليس ) •

رمى طرف جلبابه على كتفه وكان يمشي في لا مشيه ، وقف على باب المقهى وكان يحملق في الرضى الابله • مواطنون صالحون ولاشك !!! عليكم رضى الله والدولة وسخطي • تقرب من أحدهم • أتستطيع أن تشعل لي سيجارة ، لا ليس كذلك • حاول أن تفهم كيف ، قرب من هنا وابتعد من هنا ، أوف • أن تشعل معناه أن تحرق ، وان تحرق معناه أن تدمر ، وأن تدمر معناه أن تبني الجديد ، حملق الجالس فيه وحملقت الولاءه ، أنت لا تعرف بعد سوى أن تقعد ، ثم ضرب جانب طاولته متأففا وابتعد •

المذيـاع :

ظلت المعارك على أشدها في وسط المدينة ، وتركزت هجومات اليمين على الجبل وطرابلس ، وسقط من الضحايا هذا اليوم حوالى أربعمائة قتيل • ضربت الجهاز وأخرسته ، متى كنت يا آلة النحس تحملين لهاته الجماهير أي شيء يخصها ، الصوت صوت القتلة لا صوتها وتلك هي القضية ، فأين صوتنا ، السؤال قائم ولكن أين الحركة ؟ من البدء كان التفجير لكل ما هو صحي هو الاساس : عندهم ، لكي لا يكون صوتهم : صوت المذياع والمدفع والشعارات الخائنة والموت هو الاساس • قامت الحزن في الرأس والقلب والمدينة والفضاء •

الـسيه :

انه يسير ، كان من قبل قد توقف مدة ، يتساءل على معنى ما يقع : فلماذا ، بماذا ؟؟ ولا جواب سوى السحق الاعم • وكان يهرع لبيانات

الحزب ، انه منضبط ، فلا يمكن أن يخـــرج رأيه عن رأيهم ( لا يمكن أن تشك أو تطعن في نظام يساري تقدمي ، بـــل يجب ألا تكون لقمة سهلة لمطبخ اليمين الذي يريد أن يشكك في الانظمة اليسارية القليلة في العالم العربي ) وكان هذا اللجام يرده الى الماضي · حصيلة النظـام السوري في معارك أكتوبر ، بل بالخصوص أثناء مكائـــــد كيسنجر في المفاوضات القاتلة التي ذهبت ضحيتها حصيلة أكتـــوبر بالنسبة لبعـض الانظمة الهشة ، ومع نفسه كانت ( لكن ) تقف بالمرصاد ضد هذا الاقتناع الابله · ان تلك الحصيلة هي الرادع الاساس دون اختيارهم للجانب التقدمي في المشكل ، ويترك بيانات الحزب ويسأل كل عقـــل · اختيارات النظـــام السوري تجعله يختار جانب التقدميين اللبنانيين في تحالفهم مع الثـورة الفلسطينية اساسا : أليس ذلك من بديهيات الموقف ؟

وكان الانشداه ، بعد الحيرة يصيب العالم لديه باهتزاز ·· ومن ثم أصبح ارتباطه بالعمل هشا ·· يتغيب ، وقد يحضر دون أن تفارق عقله واختياراته السابقة ذلك الشرود المعذب الذي يبحث عن جواب ·

الاطفـــــال :

صاح علي . لقد تعبت ، فتوقفت الكرة ، رمى مرفقيه على حـــافة السور القصير وتنفس ، فقـــرفص بمحاذاته أحمد وسعيد على طـــوار الشارع · وكانت أشجار الصفصاف صمـاء بكمـــاء ، وفي الساحة كان الصمت يعم ، لم يكسره شيء بعد الكـــرة ·· ولكن نظـــرة علي كانت تطوف ، تقع هنا ولا تقع هنالك ، ثم سقطت أخيرا على رؤوس الصحاب الذين كانوا واقعين في الرضى كأنهم أبادوا الفائض من الطاقة فيما يهم ·

الحـــــيرة :

حزمت نفسها وكان لهذا الكابوس ثقله ، فمعه اذا لم يفعل المـرء شيئا عليه أن يكون مؤهلا ليأس قاتـــل أو لا مبالاة أو جنـــون ، وكانت تهرب من المخاطر الثلاثة ، انما هذا الحصار العنيد مالـــه يخنق ؟ سارا، فلعل عنده ما يقوله ، وكان الشارع يغلي في غير مجاله · ومن ثم لم يكن يخدعها · فهي تحلله وفـــق ارتباطه بالوضعية الاساس في انحـــرافها المفضوح عن الحركة الاصل · وكان ذلك يتضخم ليصبح أوضاعا برمتها .

من هذا المحيط الاسود الى الخليج الجاف ، حيث تفجر عقم ذلك عن هـــذا النـــزيف الاليـــم ٠

الســـــيه :

وراء التدخل السوري ما وراءه

يجب أن نفهم ، فلـــو تعرضت المقاومة والتحالف الوطني التقدمي اللبناني من أي نظام آخر لاعتداء مماثل لكانت أوراقه مكشوفة بالتمـــام ٠ كان يصيح في تجمع خلية من خـــلايا الحزب ٠ وكان ذلـك نشازا في الايمان الارثودكسي لكل ما يصدر عـن القمة ٠ ويضيف ٠ لا تنسوا أننا كنا نعتبره هو الكفة المماثلة في الجـناح الشرقي لاختياراتنا الاشتراكية الشعبية وقضايانا القومية ٠ غير أن لعبة اليمين واليسار تطرح نفسهـا فتختفي حقائق وأسباب ٠ وكان ذلك يـرميه في الخط ٠ أين الصواب في كل ذلك يا عقلي ويأكل ما شحنتك به من نظريات وايديولوجات ؟؟ ٠

الشـــــارع :

المقهى يتجدد حضوره ٠ وكـــــان الابتسام الغبي هو ما يكسو بعض الوجوه ، ولكن الحزن القاسي كان يسكن جذورها ٠ انما اللــقمه والابناء قيد في الاساس ٠ وهذا التعذيب اليومي لخـدمة اليومي قد أنتج جمهورا عاطلا ، وكان أبناؤهم رهن الكـــرة في الطرف الآخر من الدرب ٠ انهم ينتظرون تنفسا كافيا ليعاودوا الطاعة للحجم المـدور الذي سرق زمنا وتفكيرا وتخطيطا من يفاعة جيـــل ٠

اشترت جريدة ، حتى ثرثـــــرة هؤلاء يجب أن تسمعها ، فتعـدد الاصوات تحعلك تفرز منها ، ولو رغما عنهـا ، الصوت الخفي ، ولكنهـــا لا تستطيع ان تقـــول لك ما تود أن تسمعه ٠ وأجابت نفسها : لا تنسى انها أيضا ضحية ما أنت ونحن ضحية له ، انما ٠٠٠

الســـــيه :

القوى السورية عادت من جديد ، والجيش (الثوري) يضرب الثورة الفلسطينية في معاقلها وينسف القوى الوطنية التي تساندها ــ لم يكتف الجيش السوري باعادة التوازن في الساحة لصالح القوى الرجعية الانعزالية

ولكنه يمنحها فرص التفوق • كيف ؟؟؟ فسروا لي وأفهموني هذا السقوط • وكانت الاخبار لا تترك متنفسا ، فهـــي تنهمر كطوفان وباء لـــم تصب المنـطقة بـــه قط •

الشـــــــارع :

رمت الجريدة : لا ، فليس هنـــــاك من تلاعب بالكلمات بعد ، يجب أن يقولها ، فليس الاسد سوى المنفذ ، هم المخططون ، كلهم ، كـــل صامت من شعوب وقادة وهو المنفـذ ، ومع ذلك يبكون ويدعون الى تقديم المساعـــدات الطبـــية المستعجلة •

كانت آنذاك هي أيضا تبكي ، ومن حولها كان كـل شيء يبكي ، الخطوة والحركة والصفصاف والمقهى ووقفة الصبيان • ولكن سرعان مـا تذكرت هزيمه الدمع ، انهم يصنعون منا بهزائمهم هاته مجرد بكائيـــن فقاشلين قدمى ••

مسحت غشاوة الدمع وقررت : سأجيبـــــه : يكفي من هذا البحث البليد • فكل القنابل والصمت والابادة تخبرك أن الامبريالية فعلت فعلتها في انظمتنا ، فانكشف الحربائيون وتعرت الشعارات ، وخاف اللاشعبيون من حركة الشعب التي ابتدأت هنالك فأخرجوا أسنانهم ليمزقوا بها الجسد الوليد ، جسدنا ، هناك ، ونحن لازلنا هنـــا ننتظر ، من يعطينا الفهم ، والبـــدء ، والنظـــر •

وصـــــــاح عـــلي :

يا أولاد ، لنقـــم •••

بيــــــان :

( الحزب يدين بشدة التدخل السوري ضد القوى التقدمية الوطنيـة والثـــورة الفلسطينية في لبنان ، ويعلن تضـــامنه معهما ، ويشجب أي استخدام للشعارات الثورية ضد حركات الشعوب وقضاياها •• ) وكفى •

اليـــــــــه :

أيها الناس ، من شهد منكـــم الشهر فليخبر به ، ومن استعمـل عاطفته وحدها فقد ضيع عقله ، ومن آمـــن بغير ما أعتقد فقـد باع صوته لالف حساب ، ومن أخطأ بفورية ، غمرته الاوبئة ، ومن انتـــظر الحـق في عرفهم فقد خسر الدارين • أيهـــا الناس •• الشهر بين اقدامكم .. فحركوها تطلع الحقيقة ، واذهبوا بي الى هنالك وهنا •• اذهبوا وحركوا اذهبوا وحركوا تجدوا مالم أجده ،، وسار ••

# الأطلس الهجين

كان وجهه من وراء المكتب يوحي لمن ينظر اليـــه بالرصانة والبراءة والوثوق والتوافق · غير أن المكان كان يشكـــــو من الاحتياج الى شيء قويم وصحيح ، وفي الممر كان الاهلون يشعرونك بأنهم في حاجة الى الخبز والملبس والصحة والمعرفة والفرح ، رغم أن مـــا يحتاجون اليه قائـم على الارض ويمكن الوصول اليه من جميع الجـــوانب وأخـذه دون التعرض للمغرق ، انما أين وكيف ؟·

وعلى الواجهة ارتسمت : ليلى ، حيث كانت تنظـــر اليهم والى الاغصان كيف تتماوج ، وتستمع من خـــلال الواقع والاغصان وهسهستها الى آلام وآمال الرجال الظاهرة والخفية ، وتتساءل : ألا يوجد فرح في هذا العالم ؟ ثم أضافت : ترى كيف سيتحقق في هاته الظروف ، الانسجام بين الحـــياة والرجـــال ؟! ··

ومن قبل ، كانت الطريق تنعرج بطراوة ، فعلى جانبيها ما يشدك من الخضرة والرونق ، وكان الاطلس يرتفع ، فهنـــاك بين ثنايا جبروته قد غرس الاشاوس حياتهم ، وكانت بعـــض الاشجار قد رصفت الارض باللون الاصفر ، بينمـــا الاخرى تتعالى في كبريـــاء شامخ بخضـــرة لا تشيـــخ ·

وكان البرد يمرح في المصطاف بقسوة ، بينما يترك الفراغ لهسهسة الاغصان المجال كله ، وبين الحين والاخر ، تمـر سيارة في سباق حر مع نفسها لتتحرر من قهر الطـــقس ، غير أن أبهة البناء المفاجيء تصدمـــك بأسمـــال الاهـــالي ·

وفي الصف الطويل المبلط ، الذي يحتجز عدة أبواب لمكاتب تعطل الشغل أساســــا ، اندلق دفء مباغث من احداهـــا ، ذتسابق الاهلون لاستنفاذه بنهم ، بل ان بعضهم قد افترشه وأحس بالامان • وفي الداخـل كان البطن يتجشأ . القلم في اليـــد والدمعة في العين والحمرة في الخـد والصندوق يمتلـــيء •••

واستدارت ، لقد كانت بتفكيرها وواقعـــها تعرف قيمة الحـزن ، لكن العمل من أجل المسرة الخـاصة لا يجـــدي ، والفرح لهؤلاء أين هـــو ؟ اذ كيف يستطيع المرء الحياة دون فـرح • غير أن هـذا السلام الذي تـــراه على المر والناس والمصطاف والملفات كان سلامـا قاسيا ومهموما •

ومرت فترة ، وبقي ذلك السلام البليد يمرح فـوق المشي والرؤوس والقلم الذي يسطر البيع والشراء • لكنها كانت فتـــرة فارغة ، اذ يجب أن يدخل شيء ، شيء ثابت يستطيع أن يجعل من هذا العالم مكانا للعمل •

وعوضه ، أطلت •••

فخيل لليلى أنها ستستيقظ على نهم هائل •• لكن هل رجل مثله يستطيع أن بوقظ نهـــم أية أنثى ؟! ••

•• بين حاجبيها وشم مثقن ، وكان كل ما فيها يوحي بالنـــداء • لقـــد كانت قد أفادت مما سبـــق أن صنعته مع الرجــال • لهذا أسبلت على سحنتها ونظرتها رجاء محموما ، فما كان منه الا أن فوجيء ، كأنـــه قد أصبح يسمع في حضورها نفس العالم ، ثم سقط فجأة في شرود حنون ، لانه على شيء قليل من رقة الحس ، رغـــم انه لم يتعود من قـــبل ، أن يرغب سوى ذي النساء بصفته كان صلبا وقويـــا ويأمر ••

وفاجأه صوته ، حيث أنه لم ينس ولن ينسى عادة فعـــل ما يجب فعله • وصـــــاح .

ـ سعيد بن عقة من دوار ••• ؟

فصاحت ليني بصمت : أهو ، هذا الفرح بالامتلاك القليل ، فرحهم . هو الفرح المألوف ؟ ام انه ألم حقيقي يتلبس أشكال السأم الجليلة ؟! .

واصبحت كلها وجدا ، واخــــذ حوارها يقوم أساسا بيـــن فكرها والـــوشم بين حاجبي الاخـــرى ، غير أن مأساة الافـــراد لم ترتبط قــط بمأساة الكـــل ..

واستدار نحوها ، وعلى وجهه سرور خشن :

ـ أهـــــلا حـــادة

فتساءلت الاخرى : اليس علـــيه أن يبقى ممثلا للعـــدالة ، جامدا كالجليد كما كان مع الشخص السابق ؟! ، وكان المصطاف مثقــلا باستمرار تحت المساء الحالم وابهة اللعنة البشرية ..

وفي الممر ، وفي المكاتب ، وفي باب المحكمة ، وفي الطريق العام ، وفي باحة السوق ، وفي أعالي الجبال ، وبينصخور الكهوف يمر الاهالي البسطاء لامبالين اتجاه ما هو ليس لهم ، لهـــذا بقي الفـــرح المألوف يصول وحـــده .

ـ أهـــلا بـــك ..

ـ غبت عنـــا كثيرا ، أيـــــن كنت ؟

انـــداح ابتسامها دون حساب .

ـ الله يخليك لنا ياعم علي ، فكلما غبت ، الا واشتاقت الحمامة الـى عشهـــــا .

كان لصوتها وهي تنطق باسمه شكلا ورائحة وثقلا ..

تضاربت الاعين ببعضها ومع السنة فموالجـــدران . ولكن لا فـــم انفتح . لقد كان المرض داخـــل الافواه والالسنة ، وكان يخالط ذلك قـــدر غير ضئيل من الالم ، حتى انه من الصعب أن يرى الانسان الاشياء بوضوح

أمامــه ، لـــكن ضحكتها واستعراضـــها البغـــيض ونداءها الرخيـــص موجود أيضا في هــذا العالم •

أرض البشاعة هاته ، كانت تمتد من المكاتب الى كل مكتب وداخـل كل ادارة ، فهـــل أصبحت الموسات الصوت النافـذ الوحيد ؟! وهـــل اصبحت الدعـــارة جواز مرور لتحقيق المستحيل بـله الممكن لنساء كـــل الطبقات بأساليب مختلفة ؟! وهل التفسخ الاجتماعي بلــغ حد أن يفرز مثل هاته العلاقات في التركيب الاجتماعي ؟! ثم هل حياة كهاته هي التي تستحق العنـاء من اجل تغييرها ؟! وصممت : نعـم •• وكـــان الاخر يجر محفظته ويبتسم ، لقد كان فرحا بها وبمهنته ، لانـــه يعتقد أن الفـرح ( الفردي أو الجماعي ) هو غذاؤنا الوحيد •• غير أن هاجسا موجــعا كان متجـدرا في مكـــان ما فيها ، لهذا استيقظت على رفـــض لسماع صوته الطري الـــذي يجعله ينحدر اليها من بين النجوم ، ملهوفة للصوت الراعـــد ومشدودة الى الخشبة ، حيث « العدل » يفقد الطابع الذي كان يجب أن يكون لــه ، وهـو يدغدغ بعين دامعة الوشم المزهر بين الحاجبين الراعشين •

واطمأنت •• كانت حادة تعرف البـــدء وتطمئن للنهاية ، لهذا تألقت بابتسامة وهي تجر دن وراء الباب هيكلين تبدو عليهما سيمـــاء الشهادة . لقد كانت البسمة على محيا حادة هي المدية وهي الحكم « ففهم » العــــدل وغمــز بنصف عينـــه :

ـ أقمت بلعبة يانصيب أخـرى ؟!

فتـــواضعـــت :

ـ كمـا ترى يـــاعم ••

تنحنــح العدل واستوى ، ثم قال بشبـه جـــد :

ـ مـــا القضـــــية ؟

فـــــردت حـــادة :

ـ انـــهـــا منـــاصفة •

فاستدار نحـو أحد الهيكلين ، حيث هزت المـرأة رأسها موافقة ، بينما تكلم أشد الهيكلين تداعيا :

ـ ياسيـدي ، أنا لا قـدرة لي على « الشركة » فزوجتي مع حـادة اشتركتنا مناصـفة في البقرة ، تسعة آلاف ريال لكـل منهما ، أما أنـا فأبـريء نفسي ، اذ لا قدرة لي على رعاية هذا الرزق : رزقهما ٠

فقطب وعـبس :

ـ ومن سيتكفـل بالرعي والعنـاية ؟

فتكلمـت الـزوجة :

ـ انـا ياسـيدي

وبغتة تبدلت الاسارير وهو يلتفت الى حيث تتغنج حـادة :

ـ أهناك شيء مقـابل ذلـك ؟
فتثنى غصنهـا وابتسم ، بينما انعقد تعجب على الوشم والعيون :

ـ ارجـوك الا تسأل أكثـر

فاستـرد رأسه وضعـه وقـال :

ـ مـا اسمـك ؟

ـ يطـو يـاسيـدي

ـ أين سكنـاك ٠٠ ومن أبـوك من أمـك ما سنك ما علامة الخـاصة بـك ؟

مدت وشمها على ساعديها بعد أن مدت بؤسهـا وغربتها ووحدتها مع الزمن والفاقة وتفسخ العلاقـات الاجتماعية وتلاعب المـومس والعـدل والاوضـاع بها ٠

ـ يكـفي يكفـي

كان لا يريد أن يصدم نظرته بتلك العروق النافرة التي يتحرك فيها دم تلبل ببطء شديد ، خصوصا وأنه على موعد مع الشرايين الدفاقة بالرغبة والخصب ٠

فجذبت المرأة بقايا الاسمال على معصميها وحاولت ان تنتصب ، بينما كان الهيكل النخر الذي كان زوجها قد انحاز للجدار ، يشهد صفقة آخر العمر ٠

– قم أنت واخرج ،فلست طرفا في القضية ٠

فاهتز الهيكل السبعيني وطأطأ رأسه :

نعم سيدي ٠ ثم انسحب ٠

أينك يا قمم الاطلس التي كنت من قبل تملكين كل ما تريدين ، وتطمعين أكثر في كل مالا تملكينه بعد ؟ أينك يا عربدة طلقات الرفض المصوبة من شموخ « اللا» الى دلع « نعم » ؟ أينك أيتها القدود العملاقة المشدودة الى وتر لا يعرف سوى الانشودة لكل مالا يقهر ؟ أينك يا اسماء ودلالة : ياتاريخ بلاد بأتمه : لا لا حتى النصر ٠٠

ثم خرجت تبحث عن صوت مدمر ، عن غضب ممنهج ، عن فكرة وحركة وعن وطن لا تساوي قمم أطلسه صفقة داعرة ونصف بقرة ٠٠٠

# العاصفة

كان الجسد يتحول الى كون هائـل ، وكانت غابة المســام تزدهر على السطح وتفوح ، وكل واحدة تهمس وتصدح بلغــة ، بينمـا يصبح الداخل مدى ، وليس هناك من قدرة على الوقوف وسط الخضم لادراك ما ، سوى أن القيامــة اللحظــة .

تدحرجت العجلات وكانت القفــا تتكلم .. هاته الشعيرات البيــض الموزعة تعرف كيف تينع وتزهر .. وكانت الذات هــي الاساس .. خليــط تتبرعم فيه اللغات واللفحات والظمأ الذي لن يرتوي

ـ أنجلــس هنــــا ؟

وهذا الثقل التاريخي الذي تحمله كيف تفعل معه ؟. . وتتيه الخطوط والمنعرجات والافق الآتي وما يمكن ان تحب أو ترفض . وتتمــدد الــذات على المدرك والمغلق وتصبح عالما مجمعاً من الموضوعي والمطلق . وفكــرت : كم أنه هائل هولا لايطاق هذا الجسد حينما يستيقظ .

وكان الحزن العذب الشرس بالمرصاد ، وهو يأتلف بالشرفة والنغم المرسل من السقف ومن الجدران . وبذلــك أصبح الكــاس ضــرورة غيــــر حتمية . لكن حينما تأخذ جلسته صفة الابتهال ، فان أي مهرب يفيـــد . وتسأل عيناه : لــم الحزن الآن ؟! وتجيبــه : وهــو تدري أن العــابر فى الاساسي والاساسي وليد العابر ؟! .

كانت اللغة امتهانا للحظة أيضا . وكانت الجلسة فعلا عاديا يبتذل الخارق . والمخلوقان الوحيدان الفرحان بالحزن والألم وثقل التاريخ وضغط

الموضوعي ومتطلبات المستقبل يمرحان وسط الهوى والتوحد والغربة والعشق والأزقة . وكانت أنوار الاعمدة الكهربائية تجرح الخلوة المبدعة للفعل الأخرق ولتبرعم النطفة الاساسية للزمن الوليد . وتضيع الحواس المألوفة وسط يقظة الحواس الغير المسماة : فيأكل ما أسمع وأرى وأحس وأرحل منك اليك ماهذا ؟! أي خارق يكسر القمقم لتتفتح الماديات وتشتعل الروحيات وتمتزج المتناقضات ويصل المرء الى الادراك الكلي أو السحر المجنون • رحمة بي يا شرايين وتلافيف لحم وسيل دم وخلايا وعضلات : أفي كل مايلمس من هذه الظواهر المادية مطلق خارق ؟! .

× × ×

**التف بمعطفه في جلسته وكأن برد الخندق لازال يضرب أعطافه • ( أتسمع •• أعطني المكبر ؟ وعلى شاشته رأى أسراب العدو ) •**

رفع عينيه نحوها بتوأدة رخية وكانت شفتاه ترتعشان • ان ضغط الشعور حينما يصبح هرما من التفاعلات والانفعالات يبطل المتداول • ابتسمت عيناها نصف بسمة جوابا على الرعشة ، وكان بانحنائه يشكر . يا أنت ؟ أتدري ان لقاء المستحيل ممكن ، وان الزمن ليس لحظة والمكان ليس بقعة أحيانا ، خصوصا وان القياسات قد اختلطت والابعاد توحدت والتفرد قد التقى وأصبحت نقطة البدء كونا .

× × ×

**الخدمة العسكرية ليست هي الاساس في انتسابي للمعركة ، كنت ملحقا بسلاح الطيران • لا ضرورة لتوضيح أنني لست طيارا بالاساس ، لكني ملحق بفرقة المقاومة • بقينا في الخندق ثلاثة أيام بلياليها ، وكنت بأكبر مطار عسكري • الروح حتما موجودة ، لكن رفيقي استطاع أن يستنبد بي حينما قال •• )**

× × ×

شد رأسه بين يديه وكانت تدرك مدى مايثقله . فهو منــذ الخسارة والترحال ، قد قرر أن يضمن لنفسه هذا الامان على الاقل : « الحب ائتلاف اضافي » لكنه الآن ماله مغزو حتى النخاع . وكـــان جبروته العـــام فى الميزان : الانفصال عن الحزب ، وشد البندقية فى الاغوار ، وصولة القلـم على ساحة الحرف ، وهذا المحيط من التلف والتخلف الممتـــد من الماء الى المـــاء ، وهـــي ؟ .

.... وكان الحديث لازال يدور فى الجلسة منطلقا من هذين الحضورين الموجودين مضمونا وشكـلا .

ـ أحداث ايران ، وامتداداتها على المنطقة وموقف الغرب منها .

ـ استسلام السادات ، وسلبية الشعب المصري التي لن تطول .

ـ الانظمة العربية ، وما أوصلت اليه شعوبها : داخليا وخارجيا

ـ الصين وأمريكا ، والاتحاد السوفياتي وأحداث جنوب شرق آسيا.

ـ القرن الافريقي فى منطق الصراع الدولـي ، ودول الخليـج ومـا يمكن أن تقوم به من أدوار .

ـ الصحراء المغربية والاطماع الجزائرية وما قـد تعرفه نتيجة تبدل الوضع فى الجزائر .

ـ موقف أوربا من قضايا الشرق الاوسط بناء علـى محاولـة اثبات الذات أمام القوتين العالميتين .

ـ القضايا الافريقية وصراعات الكبار .

ثم الاساسي :

وكيـــف المخـــرج ؟؟.

المخرج العام أو الخاص ياهيتم ؟ وكان صوت من أصواتهما متجه الى الجلسة والنقاش ، وبقية الاصوات الى بعضهمـا : تسمعـه وتفهمه ثـم

تعذره . لقد كان له من ثقل الماضي والحاضر ومتطلبات المستقبل مايجعلها تشفق عليه منها ٠ هي ، ذلك الهول الهائل من الاكتساح المعتوه ٠ في حين انه حتى هو ، كان قد رحل شرط السلام عنه ، حتى انه قد أتى فعلا خارقا .

× × ×

**( اذا حصل ما قد يحصل ٠٠ فلقد تركت تحت سريري في المعسكر وصية لاهلي ٠٠ لم ارد أن أرسلها اليهم وأنا حي اشفاقا عليهم ٠٠ لكن أرجوك ان توصلها اليهم ان ٠٠٠ ) ٠**

× × ×

وسط الجلسة انتصب بغتة قبالتها . وكانت الصالة الصغيرة متوترة بالسجائر والقضايا والمناقشات والحب الارعن : سنة ونصف وأنا أسأل عنك ، لكن لماذا التقى بك ؟! « امتلأت عيناه » الاقول لك اننا نتشابه في كل شيء ، فيالخطوة والخسارة وهذا الفهم الشقي للعالم والذات : فماذا تقولين ؟؟ ...

كان بودها أن تجلس عراءه هذا في كفالة حنانها ، وأن تمسح رأسه وتدغدغ كتفيه بعطاء موهوم ، وأن تشرح له : أنا مثلك ياحضوري الثابت ، في البحث الأبيد عن الحقيقي موضوعيا ومطلقا . وأنا مثلك غربة ساحقة في المحاولة السرمدية عن الانتساب للجهد المادي من أجل التغيير . وأنا اكثر منك احساسا وممارسة للخسارة ، وأنا دونك قدرة على التطاول على النكسات ومد اليد والخطو الى الحلم الآتي ...

اشرأبت المدركات نحو المشهد ، وكان المألوف يصطدم بعكسه ، ثم تضاربت نظرات الجميع ببعضها بين قبول وانشداه ٠ فعرجت هي لتترك له خط الرجوع :

ـ المهم كيف يمكن ادراك المواطن العربي حتى لا يغرق في تيار السلب مادام لم يعد هناك من أمل سوى فيه وبه ؟..

ورد أحد الجالسين :

ـ أن نبدأ منَ الاول ، فالوعي أساسا موجود ، رغم أن تجويع هـــذا الشعب يقصد به حشر الاهتمام كله في اللقمة وحدها ٠

وتكلم آخر :

ـ ان الصراع من أجل اللقمة صراع من أجل التغيير ، من أجل التوزيع العادل للثروات ، والحريات ، والاختيارات ، والممـــارسات والنضالات داخليـا وخارجيـا .

و ...... و ، وو .

ولعل هيثم كان يصارع داخليا هاته اللحظة .. وكانت جلسته تحكي الجحيم المنعش ، وكانت هي في المقابل تحاوره بالصمت : أتدرك أن فقـر عمري قد اغتنى بك ولك ، وهل تعرف أن المسافات التي قطعتها ، والاهوال التي عانيت منها ، والخذلان الذي مارسته والوحدة القاحلة وسط الجموع ، كانت كلها للبحث عنك ، وهل تفهم ما معنى أن يتفجر الصخر ويلد المذكـر وتتوحد المتناقضات ويصمت البحر وبسالم البركان ، كل ذلك هو أن أحس وأمتلىء بك ٠٠ أنا الرفض العاتي للمتداول والمدرك العادي ٠

ـ ٣ ـ

**( في قلب الارض كنا ننتظر دمارها ودمارنا ، لا نملك الا مدفعـا صغيرا ، وانتظارا غير معقول لمعركة محكوم عليهـا بين التحضر والتخلف ، وسوى ما هو مبرر وغير مبرر ، وهو ذلك الايمان الكلي بالارض والانسان )**

ـ الثورة الفلسطينية طليعة الثورة العربية ، يجب عليها هي وأنصارها في كل الوطن العربي أن تستدير الى الوراء حيث العدو الاكبـر ، فمن هنا يجب أن نبـــدأ وتبـدأ ...

من تكلم ؟ ، هو أو أحد أصواته ؟ ،،، ٠

لقد كانَ يخيل اليها أن كل الاصوات هي صوته ، وان صوته هو كل الاصوات : مجمعة وموزعة من أقصى المحيط المظلم الى الخليـــج النائم . وعاد الى صمته الذي يتكلم معها بكل اللغات ، وكانت هي منحنية على هذا الصمت تحتضن المألوف والاستثنائي وتسأل : لقد كنت في حـــاجة اليه أيضا لأدرك الفرق القريب والبعيد بين المذكر والمؤنث ؟؟

ـ لكن كيف يمكن نشر هاته الرسالة فى الجموع الشعبية ؟! .

القمع هو الثابت فى هاته الاوضاع . وحكم المكتب الثاني يصـــول فى الساحة والمؤسسات الصغرى والكبرى . والتقاتل من أجل الكراسي هي شريعة شرق المتوسط وجنوبه . وأن تتسرب أية فكرة أو حركة لابـــد من البطل والبطولة . وهذا الشعب المسحوق بالخارج والداخل ماذا سيخسر حينما يستيقظ ، سوى قيوده . وبذلك كيف يمكن نشر هاته الرسالة فى الجموع الشعبيـــة ؟؟.

وصال الحديث وجال حول التنظيمات السياسية في الوطن العربي ، حول اليسار بالخصوص ، بـــل حول بهرجة شعاراته فحسب ، وتوحـده مع غيـــره من التقلبات الحاكمة في الاستبداد ما عـــدا الحزب الشيوعي **السوداني ، الذي كان ولا يزال في** المستوى وضوحا وصمودا ، حيث يناضل من الداخل ، ويقدم للقضية رؤوسا يعز مثيلها • « لكـــن أينك يا هيثم ؟ • كان سيد الحديث وكان معها • ثلاثون سنة ضاعت دون البـــدء الحقيقي ، فحينما تريد أن تغسل حيك ، لا بد من غسل بيتك أولا • والثقة البلهـــاء بكل غيور ملفق على هذا الشعب المنوم يجب أن يزول • وتاريـــخ المنطقة كفيل بالنماذج والامثلة •

× × ×

**( كان لابد أن أبلغ الوصية لاهله • بعد أن كان راسي قد اشتعل شيبا حزنا عليه وعلى القضية ، على نمـــوذج الانسان العـــربي البسيط والصادق ، وهو يرمي به شبه أعزل ، وسط الدمـــار العصري ، دفاعا عن حفنة رمل لن يأكل خبزها أبدا ) •**

× × ×

كانت مساريب النقاش قد وصلت الى مرتكز : الفعل الثوري المنظم . ومن ثم فان أي يأس لا يمكنه أن يعيش في هدير العاصفه • وحسران بعض الجولات لا يعني خسران الجولات كلها • لكن هاته الجحافل من التخلف والهزائم تفترض البدء السريع والمنهج • ومن خلال اليقين والشك انتفض مرتعشا أمام خصوصيته فى مواجهتها يصيح :

ــ من أنت ؟ قولي لي من أنت ؟؟..

لو وقفت القدم ، قدمه الموضوعية على مرتكز ، فهل يريد أن يضمن للقدم الذاتية مرتكزا آخر : دلالة واضحة واسما معينا وعلاقة رسمية • تنهدت أمام ضخامة السؤال ، مستعينة بمزيد من الهواء ، وهو أمامها يشتعل : عيون يسكنها عشق حارق ، وقامة ممشوقة ، واعتداد مضبوط ، وحركات دالة ، وتحرق لغزو الاسماء والصفات : لغزوها •

ــ لكن أي أنا تريد أن تعرف يا هيثم ؟!

ارتمت أجفانه لحظة على بعضها فى تنهد سحيق ، وخاطب نفسه: أي نعم • ثم انعرجت وقفته كمن استيقظ ، لكنه لم يدرك بعد المكان والزمن الذي يحددانه حاليا ، لهذا أضاف :

ــ لكن هل لي من رجاء وهو أن أسمعك فحسب . ثم مدد رجليه . وكانت ثورة قاسية تسكنه وهو يضبطها بشد معطفه بعصبية على جلوسه المدد ، ثم كرر برجاء شبه منتحب : « فقط أريد أن أسمعك » ، ثم أغمض عينيه ودفع رأسه الى الوراء بشكل رخي •

يابهدلة الايام الماضية وانتظار الليالي لقد ارتفعت السجف . وأنت يا هيثم في المواجهة تكثف الحس والرغبة وتحقق بفكرك وكرم ذاتك أن اسمك الانسان . فهل أبكي الخسارة الماضية أم أضيء وأستضيء بالزمن الآتي ؟، ومن الاول آمنت بأن الاشياء الصغيرة هي أس الجوهر المادي والمعنوي . وأن تكون جسارتك تلطم وجاهة الحديث الملتزم . فلست غير من أنت : القذيفة في اليد واللسان والعاطفة والفكر وهي مشرعة في وجه

المألوف والمتـــداول والأوباء كلهـــا ، ولو كنت غير ذلـــك ، لما كانت شطآني لتسمح لك بالرسو ٠

ثرثـــرة ، وثرثـــــرة ....

وهذا اللاوعي يصعد وعيا حينما تنسف دونه كل الكثل ٠ وثقل العادي الذي كرسته ضدنا القيم والاحباطات والمألوف وتوالي الليل والنهار يطير شظايا ٠ وانبهار الجلسة بهذا المشهد جعلهم يقفون على خيباتهم الخاصة ٠ والشجاعة الفردية تعدي هـــنا أو هنـــاك ٠ وأن تحس بتبرعم نطفة العالم في الزمن والمكان وخارجهما في نفس الوقت فذلك هو الانبهار ٠ وان تحمل ذاتا تتحول كونا مطلقـــا ، فتلـــك هي الولادة الحقيقية ٠ وأنت يا هيثـــم ببسمتك المريضة الآن توقظني وتوقظ نفسك على الرحلة الآتية .

× × ×

( لكـــــن العاصمة والكبار شيء آخر ٠ فهؤلاء العائدون مما يسمى تجـــاوزا جبهة ، يجدون أن الجبهة الحقيقية لا زالت في انتظارهم بكـــل اطرها وتقاليدها واستبدادها البليــــد ٠ فالحرية محتجزة وهم يوزعونهـــا بأقساط على الاعوان بشكل مشوه ، مع أننا اعتقدنا أننا على الاقل قـــد افتديناها بتلك الجسارة التي واجهنا بها تقـــنية القرن العشرين ، ونحن لا نملك غير اليقين الثابت في انسان هذا الارض ، خصوصـــا وأن المعركة اذا لم تبدأ أساسا من الداخل ، فلن يمكن اطلاقا فتحها مع العدو ، ونتيجة المعارك كان يجب على الاقل أن تفتح عقولهم على ألف باء البدء ، لكن ٠٠٠ )

× × ×

ـ كـــم الساعـــة الآن ؟ .

تمعن هيثم في السائل والمسؤول بفهم ، ثم ارتحل ..

ـ الخامسة صباحـــا

ـ أظن أن الوقت قـــد حـــانْ .

عاد هيثم سريعا وواجه :

ـ لكن ما رايكم في أن نبقى الى الخامسة مساء ، والى كل خامسة ستـــأتـــي ...

ضجت الجلسة . وكانت الابتسامات تختلف من هـذا الى ذاك . لكنه هو ، شد نفسه وكان يعمق نظرته فيها بعذوبة ...

ـ مـــرحبـــا .

كان لابد أن تقول شيئا ، في الوقت الذي كانت نظرته تحاصرها بتوسل ناري . فيا خطوة الايام الآتية رفقا بي .

**( الانتساب للحزب هو وثيقة المواطنة هناك فحسب . ومن كان فكره يناقض الاختيارات والممارسات والتناقضات لذلك الحزب ، فما عليه الا أن يقبـل بفقد كل ما يخصه : أن يصبح هجينـــا أو مهاجرا او داخل أسوار السجون .. لكـــن كيف يمكن القبول بحزب مارس الاستبداد والتقتيـل وانتهاك أبجدية الفعل الثوري ، مع أنه يرمي من أبواقه الداخلية والخارجية الافتراءات كلهـا ... )**

ـ مارايكم فى جولة صباحية ؟

كانت الجماعة ساكنة وهما يتحركان ، ينفـذان الى تبرعـم اليوم وهو يطل باستحياء عذري على المدى المحتج بصرخات موجية ، وكـان أي تلامس بين أناملهما يجعل حتى الجمادات تتلاقح . وهذا الاحساس الكاسح بالانتساب لروح الارض وصخريتهـــا اليانعة ، يرد الاسمـاء لمسمياتهـا

ويجعل كل مادة تتفجر بألف اشعاع ومعنى ، وآنذاك تأكدت بأن للذاتي حساباتـه فى الموضوعي .

فياروح الارض وصخريتها وهي تنغل تحت أقدامي لتذكرني بالبـدء **والنهاية والمسيرة الخصبة أو الجافة بينهما ؛** أكنت من قبـل تحملين كل هذا الخصب وهذا الرفـاه وأنا لاأدري ؟! كانت الشفاه عـلى الكف وكانت **الثورة تبدأ في كل منحنى وزاوية** وشريحة لحم : وكان الركوع والابتهال للأنثـى السرمديـة ...

ـ هيثم ، ياهيثم ؟؟ ألا نغيـر الاتجـاه ؟.

وبجهد امتلك أذنيه وصوته :

ـ آه ، فانت تعلمين أنني قد غيرته فعلا .

ـ لكنْ قـم بنـا ياهيثم .

كان الرفض الفطري للنزق فيها وراء هذا الرجاء ٠ وأضافت :

ـ الا نسيـر شرقـا .

وتنـهـد :

ـ ذلك هو جرحي الأبيـد ياروح هيثم .

وضعت يدها فى يده كميثـاق وكان وضوح مضبوط يردها للأشياء ويرد الأشياء اليها ، وبذلك سمعت صخب الرفاق وتعليقاتهم وحسرتهـم المعلنة على تكلس دواخلهم . لكنه هو ، كـان لازال فـى رحلة الغـوص والفـرح الحـزين .

× × ×

**( وحتى بقية الاحزاب هل كانت تجيبك على استفهام ما ؟ ان أمين حزب ٠٠٠٠ يرى أنه لا بأس من مساندة خطوة السادات الاستسلامية ان كانت ستأتي بنتائج ٠٠ يقول هذا وهو يلصق باسمه وبحزبه كـل صفة**

**ثورية ، وفي نفس الوقت ، فان عينيه دائمـــا تبحثان على أي كـــرسي في الحـــكم ••• ) •**

مد الخوان على المائدة •• فوضعت الاطباق ••

الخطوة قفزة والفرح العادي يهدد ، وفي أس الدماغ قلق ...

كانت الاصابع تتحرك بالمقمة ومن أجل اللقمة . لكن الحسرة الخطيرة تمتزج بالفطور والعشاء . فياأيتها الأنا المتغطرسة أتستبدين بكل هذا الحضور المثقل بكل فريد ؟! . ان نداء الشرق يزمجر بالنواح والألم المادي والاكتساح الهمجي وأنت يابطن ، ياجسد ، ياأنا ، كل . ويشبع البطن ، تثقل الاطراف ، ينام الدماغ ، تتجمد الحركة ، فيموت الطمـوح ويذبـــل القلب . وفي البعيد القريب سؤال : ( اليـــس ارضـــاء القلب ترها وسط أنقاض الموت والدمار فى عالم هو عالمنا ؟!

أشعل هيثم لفافة ، وكان بالصمت يتكلم ، وفي الكـــلام يصمت ، وحينما التقت نظرتهما كانت لوعة تشتعل . فبحثت عن مهرب ...

* * *

ـ الى أيـــن ياهيثـــم ؟.

انـه الان ملتصق بالمقعد والمقود ، ولكنـه أين هو راحل ؟ مد يده وبسمته ، وهو يعرف انـه رجل فى السكون والحركة ، لهذا كانت تقنع منه بالقليـــل الدال . لكن القضية الجديدة القديمة تنتصب بينهما ، وكل منهما يحس بها ويراها ويوقن بها ولكنـه دائغ عنها ، مؤقتا •••

أنزلت زجاج نافذة السيارة قليلا وأطلت • كانَ قد فهم معنى الحركة. فتكلم :

ـ ما مارست الاستبداد في حيـاتي قط ، لكن بعـد اذنك طبعا ، أتسمحين لي به مرة واحدة ؟ وكان يضحك هاته المرة .

ـ وكيـــف ؟

ـ آن آخذك الى مقهى جميل وأن تشربي معي شيئا ؟ ٠

غرست النظر فيه وفى الفيىء الظليل الذي يصنعه ، وهي تفكـر في أنه لو يعلم أن بها قابلية لاعطائه الزمام كله مـــادام يتحدث ويتصرف باعتداد عذب لولا ولولا ٠٠٠٠ ثم ردت :

ـ كمـا تـــرى

وفي الركن المعتم الذي يغمره صفاء لايوجد مى بقية الزوايا المختفية تحت سحب الدخان ، أخذ يرحل بين حدود العالم وزوايا الـذات باقتدار مقتنـــع الـى أن أفصـح :

ـ الأمل الاكبر ، عن طريق الفعل والكلمة ، هو أن أسهم فى قهر القهر في هذا الوطن الذي يسكنني ، بنواحـه بأمجـــاده ، بغـده الذي لابـــد أن يأتي ، ليشبع فيه انسانه حسا ومعنى .

ذلك هو أنت ياهيثم . ومن الاول آمنت به . وهلا ترى انني أحسه أخيرا ينتصب في دوامة القلب الغامرة ، فأكون بين اختيارين ٠ ثم أدرك أن ذلك نفسه ، هو ماوراء موجة صمتك الزائرة ، ولعلك لـم تدرك بعد ، لـماذا أغيب عن نفسي حينما أغيب عنـك ، وأتركـك فـى دوامة البحث الشرس ٠ وحينما تسألني عن السبب يكون التمزق الصامت يستبد بي . لهــــذا لا أتكـلـم ٠

وأضــاف :

ـ هاته الفلسطين الكبيرة ، التي أعطيت لها أنت أيضا الكثير ، قد سكنتني ولن ترحل ، الا برحلته الابدية ، أو رحلة ظروف قهرها وقهرنا . كان الوتر القومي يضرب فيها دائما فوق كل الاوتار . لكن آنذاك ، كـان

وتر الذات معطلا . انما الآن ؟! .. فيايافا يانابلس يابيت لحـــم ياقبـــة الصخرة أنجدني . ويتضخم هيثم لحد لايطاق ، فيصبح أكثر من المكان ، من المدينة ، من العلاقة ومن العشق المنفرد . ثم تذكرت أملا سابقا لها : لو أنها تهرق دمها فداء لكرامة بيت صفافة وكل بيته صفافة ، ثـم تبعث وتفنى ، وتبعث وتفنى الى أن يزول أي أثر للسلك وكل سلك فى الخارج والداخل ، فيعم الشبع والفهم والنصـــر والفـــرح والانتساب الابـــدي للمستقبل .. وأجابتـــه :

– أتدري ياهيثم أنها ، فلسطين الكبرى ، هي قضيتي الاساسية ، وأنني على بحر حزنها كدت سابقا أن أضيع عقلي ، وأنـنـــي من أجلهـــا أستطيع أن أضحي بالبقية ، لان شخصا أو أمة دون كرامة ، ليس من حقه اطلاقـا أن يعيـــش أي نعيم ..

احتقن وجهه ، وهو يلحق بها فى الابعاد التي حملت بها القضيـــة قديما وحديثا ومستقبلا ، بكل ماتقتضيه من ثمن قاس . ودون أن يتحكم فى نفســه ســـأل :

– لكن أيتها العزيزة لكـــن .....

وعوض الاستسلام للاستثناء وأحزانه ، رجته

— قـــم بنـــا .

* * *

فلسطين هنالك أو هنا سواء . وهذا المقود ماله فـــى يـــدي يزمجـــر باحتجاج . وصمتي الارعن ينزف دما . وهـــذا الـــرأس الصلب الذي هو رأسي يرفض أي تراجع . والقضية تفرض ذلـــك على القلوب والأجساد والعقول . وكل من سقط من أجلهـــا يملـــك مانملـــك . والى متـــى ونحن عبيـــد الخصوصـــي ؟!

– أنت تقولين ان فلسطين فى كل جزء مـــن الوطن العربي ، ولهـــذا فالنضـــال مـــــ .....

وبتــأوه ساحــق أجابت :

ــ أرجوك ياهيثم ، فانت تعلم أيضا أن للأسبقيات حسابها .

ــ ولكن هذا الدمار الشخصي سيفعل فعله :

العجلات تتقدم وتتأخــر . وأسرعت :

ــ مؤقتا ، والا فالضعيف لاحساب لــه فى أي مجــال ، وبالأخص فـــي الادوار الكبيـــرة .

كان الصمت من حقه هاته المرة . وكان الألم بينهما مشتركا ، وكانت الطريق تنقضي بسرعة ، والمدية يجب أن تنغرز الى النصل . فمن لـــم يتحمل الالم الخاص فكيف به أن يكون في مستوى الالم العام ٠

استدارت نحوه ، ولامست قمة رأسه ، فأراد أن يحتفظ بيدها ، غير ان المقود رفض . ولكن صوتها بلغه :

ــ لا تنس يا هيثم من كنت ومن أنت ، فليس من حق أية أنثى أن تعطل فيك مالا يوجد فى الكثرة و ....

فاســـرع :

ــ ولكنك لست أية أنثى ٠٠٠

فـــــردت :

وبسبب ذلك فانا منتسبة قبلك ومعك للقضية ، ولــولاها ، ماكنت لأسلم باحتكارك لأية جهة أو أي طـــرف ...

كانت الارض تتمدد وتفور بوجد الاهي ٠ وكانت السمــاء تهلل لها وتحيي ، وكان المحيط والخليج على الباب ينتظران ٠ وهـل كان في بعثهما موت لهذا الوجيب الطري الذي يصول بين أضلعهما ؟! وأجابت نفسها : ابدا . بينما انتفض هو فى استدارة :

ــ وانـــــت ؟ .

وبيقين شامخ أجابته وهي توقف العجلات :

ـ أنا معك ، هنالك أو هنا ، أليست فلسطين هي اسمنا الكبيـر ، وصفتنا المنتظرة . وعبر مساحتها تتحرك شرقا وأتحرك غربا ، لنلتقـي .. فرادى وجماعات على الفرح الكبير والنصر المرتقب ..

* * *

وحينما كان أزيز الطائرة يستبد بالصمت الباكي ، كانت السمـاء تبارك الارض بالعطاء الغزير ..

# البؤرة والمدى

أشعة الضـــــوء تداعب وجه البساط بتمهـــل ٠ والمقاعد الوثيرة تتربع في الاركان بين الاصص ٠ والنغم يحتضن المشهد بدعة ٠ وكـــان الكأس يسرح بين الانامل دون أن يمس شفة ٠ الحزن في الجرعة والوتـر والمقهى ٠ وشيء من البحث يربض بين السهـــو واليقظة ٠ وهذا العالـم له وأنت من أنت غيبــه ؟ ٠

تسللت الاصابع ، أصـــابعه بعد خطواته تداعب خصـلة ٠ لكـــن الوجه كان في رحلة ٠ والرحلة تشمل وضعا ٠ وهـذا الوضع يعني قطـاعا في مجتمع ٠ عـــادة كان هنـاك من يقرر ٠ الممـــارسة عـبر التاريـــخ أكسبته حقا يصارع من أجـل أن يبقيــه ٠ لكن ما رأيــه ما موقفــه من التطور الحـــتمي ؟! ٠

ــ اشـــرب

قهقه بلا مناسبة وكان في وضع حرج ٠ غير جلسته ثم ابتسم ٠ كان حيبيا ٠ هل الرضاء انتصار أم خيانة ؟ المجـــتمع الاومي هو الذي يحكم الآن ٠ ( اصعد ) ٠ وفعل ٠ كان قد تعود على البيع ٠ تاريخ طويل من الشراءيحمله في دمه ، لكـــن التكيف وفق الشروط المـادية والعلاقات الاجتماعية من طبعه ٠ تحركت العجلات وتحرك استفهـام ٠ لمـاذا أصعده وأترك من يمدون اليد ؟! البحث أساس والفـرح الحقيقي يطارده الغـــدر وهـــل أنت مجـرد وسيـــلة ٠

عادة ماذا يفعل الرجال بالنساء حينمـا يصعدونهن السيارات ؟؟ الممارسة القسرية والتسلية الهمجية ٠ هـــن ينفذن والسادات يملـون ٠ الاطراف والشعر يقشعر ٠ لكن الان ٠٠

ـ مالـــك صـامتة ؟

الصمت لغة لا يتقنهـا الجميع وأنا مـــاذا أفعل بـــك ؟ ٠

ـ قـــم بنـــا ٠

الاطـار العـام ومسيرتــه واضـــحة وكذلك حتى فـعل المـــرأة بالــــرجـل ٠٠

مـد يده يباشر مـا أخـــذ ثمنــه ولكنه فوجـيء ٠٠ لا ٠ أتعرف ما هو البحث ، ما معنى الحزن ، ما مذاق التغيير يا هذا ؟! ان كنت تعيش خارجهـــا جميعـا فامسك يديـــك على الاقــل ٠

( وماذا علي أن أفعـل ! ) نظرة الجهل والمحـدودية في السؤال ٠ لكـي نفعل أي شيء يعني : أن بـــدءا قـــد حصل ٠ لكـن أن تعـيش بآلية ثم تطمح أن تفعل شيئــــا فانك لن ترحـــل ٠ ان الثمن يحـــرك يديك ورجليك وعينيك وأنت تنتظر الامر ٠ لكن أتعرفها ؟٠٠ كل امــرأة نظرت بتوسل الى رجل وانتظرت أمره وأجـره ٠ كيف كنت أنت والجـــد والاب وجـد الاجداد وربما الابن فيك يدفـــع ٠ طبقات من الجهل والقهـر والفقـر يكبلهن الى الاقـــدام ولا يرحلن الا عبـــر الخصاصة والدمـوع ( أنت طالـــق ) الحكم بيدكـــم وأمامهن الشارع والسيوف والقوانيـــر المريضة في الايدي الاخرى : الماخـــور أو الشقق أو السيـارات أو غرف الفنادق أو المقصلة سواء ٠ عليها ان تطيـــــع فاللقمة سيدة ٠ يدك الآن على جيبك تتحسس اجرك وهل اللقمة ايضا وراء هـــاته الحركة أم أنـــه وضع اجتماعي عليه أن يتغير ٠ الانتقـــام من فعل القاصرين والقاصرات والنظرة الكبيرة تغـور في الجـــذور والاسباب ٠٠

ـ ما رأيك أن نسير ؟

وبتلعثـم تجيب : كمـــا تشائيـــن ٠

ـ أريـد أن تأخـذ حريتـك

ـ لقـد قبضت ، فأنا تحت أمـرك ٠

بعض الكلمات قاصرة كمعناها . والارجل تخبط الارض بلا رحمة . وأنت تسير بجيبك لا بقدميك . والاخرون أغلبهم ، حينما يقدمون أيديهم أو عواطفهم ، فان أغلبهم يخفون وراء ذلك سلاسلهم . والسلاسل في الاساس تكبل الظالم والمظلوم . والمجتمع الموبوء لا ينتج سوى أفراد مشوهين . وانتقال السيادة أو الدفع من طرف الى آخر لا يحل الاشكال . لكن هل تفهم كل هذا حينما تقول لي ذلك ...

اللقم تغزو البطنين ونظرتك هلعة ولا تملك الا أن تقول :

عجيب أمرك ، تدفعين علي كل هذا ومع ذلك ..

ماذا يا أنت ؟! المتعة والرخص والاوباء أضداد وكفى . أما الجنس فاتحاد كامل . والاتحاد الحقيقي لا تنتجه المجتمعات المريضة . وأن تكون أنت أنا وأنا أنت في الجيب في التخطيط في الحاضر في المستقبل في الجنس في الحركة يعني انقلابا مطلوبا ، لكن الآن .. لقد تغيرت يد الصياد والدافع والقابض فحسب .

الطرقات غاصة بريائها وأوبائها وهما يسيران :

ـ ماذا تفعل ؟ .

المفاجأة تغلف الوجه واليد والجلسة . نفض راسه فاكتسب شجاعة ما .

ـ عاطل

ولم ينتظر : بعد أن طردت من السنة الرابعة من الثانوي منذ خمس سنوات .

الحزن الان من نصيبه وقبله كنت قد حزنت من أجل امثاله ، لكن الحزن وحده أصبح الان عجزا وكفى . وهو كانا ككل تلك الومسات الصغيرات ككل رجل وامراة ضحية وضع عام . وكان لابد أن ترد بشيء :

ـ أعرف ، لا شغل لا منفذ .

كانت تلك مسلمة من المسلمات في ظرف اجتماعي مريض ·

وفـــــاجأهـــا :

ـ أتستطيعين الحصول لي على عمـل ؟·

العمـل الفـردي · عملك أو عملي لا يحل الاشكال ، لكن العمـــل الجماعي أتعرف نتائجه ؟ لو انك أنهـم أننـــا أنهـن أن الجميع يتحـــرك لحصلنا جميعـــا على الشغل ·· تشغيـــل العضل والفكر في المسيـــرة المدمرة البنـاءة ، في تحقيق الفرص للجميع وفق الشروط الصحية هي التي تشغلك وتجيبني ، نكسر القيود عـــن يديك ورجليّ وتصحـــح العلاقات والارتبـــاطات والغـد والاذهان ·

ـ قـد نتـذاكر عن ذلك في منـــاسبة أخـرى ·

ـ صحـــــيح ؟

ـ غالبـــا

ـ ومتـى ذاـــك ؟

ـ في وقت تختـــاره أنت حينما تشاء ·

وتكـــون بسمة · تكـــون نقطة في موضوع · يكـــون ارهاص بتغيير مـــا · خلق وعي متحـــرك على الاقل · يكون الانتقام الرخيـــص قد دفـــن · يكون البحث عن التصحيح العام هو الهدف ·

ـ أأستطيع ان أتصل بك مرة أخرى ؟

ـ نعـم لنتنـــاقش في الموضـــوع ·


رسالة

تلتوي الطريق بـدعة وتطول • وكان صمت الغـابة الممتـد عن قمم الاشجار ، يسكن الراحـل والمقيم • وهذا الهـذيان الجذلان بهذا السكون الثـري لا تمكـن مقاومته • وبغتة تساءلت : هل ان الوعد التليـد الذي بينها وبين الـطبيعة سيتحقق الآن ؟ فيا باسقات القدود ، أفي حماكم يمكن للـدوخة المـبدعة أن تتفجـر وللعهـد القديم أن يتحقق ؟ •

المرات بين الاشجـار في تـواز رشيق • وهـذا الهواء العـذب يمـلأ المدى والتوازي • وعلى قـدود الصفصاف المغنـاج تتكهـرب الوريقات وتتنغـم ، فتحس بها وفيهـا ، أن خصب الكـون قد زرع بذرته هناك قبـل أن يرحـل ••

الصمت ثـرثـرة حينا وأحيانـا يكون مسافة للرحـلة • وفي الامام تقبـع السيـارة كهيكل محدود المنطلق والـهدف • وكانت الظـلال العـذبة التي تهجم مـن حضـور الاشجـار تكسوهـا بمعنى • وفي تلك الانحناءة البعيدة والقريبة في الزمـن والمكان كان يقف بعـذرية • فتح الباب وسارت العجـلات • الهذيان الابكم لا يسـكن الا قلة قليلة من الرؤوس والامكنة ، والارتيـاح المخملي للـحظة يكسب الزمـن اسمه الحقيقي • وبتدفق مرن يغزو صوته المسافة والرحلة والقعدة الرخية :

ـ لعلك قد ارتحت ولو بعض الراحة •

ومن بين كل تلك الاصوات الغير المسموعة طلع الصوت الواضح :

ـ كنت أريد أن أسترد علاقتي بالغصن والشجرة والمدى الثري •

وبعـد صمت راعد ، كان الصوت وكانت البسمة :

ـ أرجو أن تكوني قد حققت ذلك ٠

كان يتذوق الذهاب والاياب عبر الصفصاف ٠ وكان يرحل في الوجه والخطوة والحركة ٠ ومن ثم ظل المقود حاجة آنية ٠ ودون انتظار أجابت .

ـ خفت أن تعود الغابة والشجرة الى الحجم والاسم فحسب ، بعد أن تقلصت الاحجام وتكلست الدلالات وطال المقام عندي لفترة كما تعلم ٠٠٠

اتسعت العيون أماما أماما :

ـ وكيف وجدتهما ؟

ـ اسما ودلالة ٠

فيما أفق الغد أمهلني كي أتنفس ٠ انغرست بسمته ونظرته في عمق الطريق وبعد المدى ٠ وكان بتلك النظرة يصول كعادته بود ، فهل تراه متأكدا من قدرات مجدافيه على الابحار في الركود والحركة . وأن يصل الى لب المنطلق والهدف ٠ استدار كله واعترف :

ـ أنا مسرور بما التقيت به ، لكن الي أن أسألك كيف كانت علاقتك عموما وبدءا بالطبيعة ؟ ٠

كان يريد بفتح هذا الحوار ، أن يكسر جدار الغير المألوف بينهما ، وان يختصر المسافة أكثر ، وأن يجعلها تتصفح له بعض الوريقات من كتاب حياتها ، وأن يتفرج على الحيوان النادر القابع في داخلها ، وأن يمسك بخيوط أكثر تصلح له للشد والجذب ، وأن يغزو الصمت الهادر بالصمت الثرثار ، فهل تسعفه ؟ هل تقول له : يحق لك أن تتساءل عن علاقتي بالصفصاف والاشجار والظلال ؟ فالمشاغل اليومية وخطاي الموزعة على القضايا والازقة كانت تشدني الى يقين أساسي : فالعمل المجدي هو ما يستطيع افتداء هذا العصر الموحش ٠ وبسبب شراسة القضية : قضية الغد والانسان ، كانت النفس تختنق ،

وفي لحظات معينة ، لم يكن الحوار يقوم الا عبر امتداد البحر ، حيث الخلاص والشساعة التي تعوض عن مقبرة الاسوار والاغصان والاشجار والبيوت والكبت والقهر الاجتماعي والفكري : ففي لا محدوديته ، كنت أجد استراحة الامتداد والانتشار والتوحد ، الى أن حل يوم : يوم رائع ، حيث استطعت بقوة ما أو صدفة عجيبة ، أن ألتقي بهاته الروعة على غير عادتي في المرور بكل رائع دون انتباه أو اهتمام ٠ وكان الجسد الضعيف المثقل بالعمق اللافح يشكو تعبا مدمرا ، فتمددت أسفل شجرة هي كل الشجر عندي الى الان ، دون أن يعتريني ذلك الشعور بالضآله والانحباس اسفل الاشجار ٠ وفي غصن منها ، كانت هناك : ورقة تختزل كل الاوراق وتؤكدها من بدء الازل ، تتحرك ، تهتز بوقع لم أستطع أن أضبطه اطلاقا ، كأنها الرعشة الاساسية لتلاقح الكون في عملية الاخصاب الاولى ٠٠ وأحسست أنني أمام النطفة الام مغزوة كلية : شعورا وفكرا وجسدا ، وأنني مكتسحة لدرجة غير قابلة للتفسير أوالايضاح بكل الاوراق والاغصان والاشجار والخضرة والتجدد الاكيد للعالم . فكريا وطبيعيا وبشريا ، في كنهه الرائع الذي لا أستطيع الى الان أن أتذكره دون أن تمتليء نفسي وعيناي ٠٠ لانها خلد العالم ، دوامه ولو في هيجان الاحداث ومكابرة السلاسل وسجون الاوضاع ٠ انها : الورقة . نحن ، انتصارنا وانتصار الغد بنا رغم الدمار العابر ٠

والى الان ، لا أحمل الا الشوق المعربد لكل ورقة في أعلى غصن على أمل مواصلة النضال العام للقاء بها في ساحة الابداع والواقع ، فهل تفهمني ؟٠

تسير الطريق وتسير ٠ والبسمات المقتولة من واجهات السيارات الآتية تتحدث برضى ٠ وعطلة الاسبوع تصبغ السحنات براحة محتضرة ٠ ونحن الى أين نمضي والى أين نعود ؟! ٠

انعرجت السيارة يمينا وهو يقول :

ـ لو سمحت ، فسآخذك الى مكان قد يحدثك أو يجيبك ان كانت لك استفهامات حوله ٠

ضاقت الطـريـق وتعرشت الجنبات • وكانت الوحـدة الراعشة والمبدعة هي السيدة • لكن حينما يواجه المـــرء بكل هذا الجلال الخصب ، فان كل السواكن تستيقظ فيــه ، ويضيـــع في بؤرة الخلق ، لكن أينــك يــاروواسي وأعمدة ، أينك وانغرسي في التربة وضميني الى الموضوعي •

كان البحـــر في عناق حميمي مع الغابة ، وكـــانت أذرعه التي ما فتئت تضرب الشواطيء بعنف بحثا عن صنوه منـــذ آلاف السنين ، تستكين الان على أفيائــه بدعة ، وكان فـــرح الاحتضان والتآلف يغمـــر المرئي والمدرك ، وكانت الطيور المائية البيضاء تتيــه بغنج في البحيرة الصغيرة المظللة بباسقـــات الاشجـــار • وكان الامان النهائي الى سلـم البحر وهـــو يحيط ويحمي هذا الحضور الانثوي المرهف والمـــرفه •• ثم ، ثم كانت عيونه بالمرصـــاد ••

الغليان يكتسح العميق والمسطح • وكل هذا الحصار لا يخاطبك سوى بلغة واحدة وأساسية • وهذا التفـــرد وسط هذا الخصب الهائـل يفجر الخوف من الغرق ولو في لب النعيم • خبطت القدم بالارض لتسمع وتحس بالصلد وسط الهلامي • ومن هنـــاك ربطت هـذا الغرق المهـــدد بمرتكز القدم ودلالته ، وسارت •• تسبـــح في عمق هذا التلاقح الكوني وفي وسط نداءات عينيه وتهرب •• تتيه بين تعاريش الاغصان المطـــلة بفهم وفي فيء الاعشاب المـــلقحة بخصوبة ، وتستنجد مـن الذات ومـن عينيه بالنبع الصغير : تجرعت جرعتين بلهفة الاحتراق الظاهر والمستتـر واستقامت ، فوجـدته قد التحـــق بها وهو يقف بذلك الاعتداد المعطـــاء وفي عينيه ألف ادانة وأكثر • استدارت وجانبته ( أريد منديلا ؟ ) ثـم مدت يدها نحو جيب سترته وسحبته • هـذا الصمت الراعد كيف تحطمه وتنجو منه ؟! ولكنها كانت تريده هكـــذا : المتكأ الحاضـــر باستمرار ليشد الصبية الشريدة والممزقة على نزيف هـــذا العالم والفكر ، وليقـدم لها الساعـد فحسب ، دون أن تهتاج في كيـــانه كل هاتــه البراكين •• قطعت جدول النبع وتقدمت • كانت قد جعلت من المجرى حدودا طبيعـــية بينهمـــا ، فسار خلف الحاجز ، وكانت نظـــرته تنغرس بتـــيه في أديـــم الارض ، وكان حزن رقيق وعميق يكسو قامته وهي تخطو • أشفقت علـيه

وتساءلت : هل من حق أية أنوثة أن تخصي أية فحولة ؟! • فيا أنت ؟
أما عرفت أية ساحة عليك أن تدخلها وأية معركة أن تبلي فيها ؟•
النسيم يكون مع نبض الارض لحنا هفهافا تسكر به حتى الثمالة •
قطع الجدول بغتة وأخذ يتجرع الغابة والبحر والنبع وعراقة الارض ووجع
التجربة بشره ( تعالي يا غجرية شرقنا المتخلف ؟ ) ، الصولة في الحركة
والنداء والتهمة • والبطولة المهذبة أساسية في النموذج لبعض النساء •
وهل عليك أن تتقن استراتيجية الاختراق في الاغوار وحتى في هذا :
في الاساسيات • لكن كيف أرحمك وأنا أعشق أن أرى استعمالك
للسلاح يضرب في كل متجه ، وليس من شأني أن أشعل لك فتيلة القذيفة
فقد تكون هاته المعارك التي يعتقدها حاملو التاريخ قضايا صغيرة ،
هي المحلك الحقيقي للقدرات الخاصة ، فأشعل فتائلك كلها ووجه كل
قذائفك وحاول •• فهل لست أنت من قلت من أول نظرة جمعت بيننا :
اكيد أن هاته المرأة ستتشقيني ••

وقفت على مجمع لعديد من الاعشاب البرية ، بعد أن كانت قد
حولت اتجاه خطوتها بعيدا عن دعوته وتهمته • الغجرية التائهة عن كل
شيء والمربوطة الى كل شيء تقطف رأس غصن متمايل وتضرب به بقية
الاغصان ، وتود لو تمرغت ، لو اغتسلت ، لو عانقت ، لو تدفأت ،
لو امتلأت وملأت هاته العريشة وكل عريشة بهذا التدفق الخصب
الهادر في كل شريان من ذاتها ، ولتحولت الى نسغ يسيل في عروق
الارض ليديم نضارتها وازدهارها ونبضها الراعش • أحاط ساعده
بنصفها وهي في هذا الرجاء مع النبت والارض • فسكن عيونها هلع
صبياني ( حاولي أن تكوني ولو مرة من أنت ) لكن اية أنا يجب أن
أكون معها وأخلص لها ؟! • الدمع المدرار يتفجر ليسيل خفيا وعميقا
عميقا • والنحيب العريق للانثى الاصل ألا تسمعه أذناك وهي في بحثها
الابيد عمن يملك أن يسمع لغتها ويستأهل بهجتها ويقدس الخصوبة
التليدة فيها ، فلو تدري أن حملي يملك أن يثري كل فحولة ويفجر كل
صلد وأن يبدع •• فهل أنت تفهمني ؟ تتجاوز الاطار لئلا تحرق وتحترق
بالداخل ، بل أن توظفه لك ، لي ، لكل آخر ( عزيزتي ، انت تملكين ما هو
حلم للانثى المستقبلية ، فلماذا تعذبين نفسك وأنت لا تستأهلين ذلك ؟ )

آه ، أنت تقصد الاخرى ، الموضوعية صاحبة الـدور الاجتماعي ، تلك التي تخوض القضايا بأحجامها وتطلعاتها لصالـــح الغد والانسان ، لكـن تبقى الاخريات ؟ فأنا أضيق بمن أحمله منهن لـــدرجة الاختناق ، وهـذا الهول الثري أعيشه منفية عن كـــل صوت وأذن ومشاركة وتوظيف • فهل مـــن الخطيئة أن تتجمع في نبضات الارض والسماء والانسان في لحظة غـــير مألوفة ، وأن أتحول الى كينونة هائلة كأنها الوتر الاساسي للخلق الاول ، وأن أحسني في خضم الرعشة الخلاقة لهذا الكـون ، وانني رغم ذلك ومع ذلك ، بكل أدواري ودلالاتي للانسان •• للآخـر • ( انني أفهم جراحاتك على صعيد القضية وعلى صعيـد الذات ، لكن ••• ) لكـــن ماذا ؟ أتكون كالآخر الذي فهمـــني وعذبـــني ، وظف الله والانسان والقلب والكلـمة لاصطيادي فترة ، حتى اذا ما سقطت الهالة عن المقدسات وظهرت المخالب ، كانت اضافة للجروح الكبرى • انسلت من حضنه وكانت الـــوحدة هي الاساس • فيا دموع التداول لن تستحقي عيوني • مجانبا يسير ويقـول ( أنـــا أقدر ظروفك القريبة والبعيدة •• فهـــذا النفور الخصب يعكسه ، لكن لا تنسي أن مجتمعنا العربي في بنياته الحالية لن يفـــرز النموذج الا في النـادر ، وأنت أولى من يمكن أن يدرك ذلك • وعلى فرض أن بـــدعك كان على أساس أنـــه كان من القـــلة ، ثم ظهر العكس ، فأنت أكبـــر •• هزيمة شخصية واحدة وسط الهزائم الكبيـــرة التي تعيشينها مع انسان أرضك ، لا يجب أن تضع أية بصمات على هذا الفيض الهائل من الثـــراء الانساني •• ) كم تحب صوته وكم تتمرغ فيه وهي تفتـــح كل نوافذها لتستقبل منه الاعاصير الشرقية : الرمـــال والنخـــيل والمجد والسمرة • رد على نصف بسمتها باحـاطة عنقها بـــه ، به كـلـه ، وكان في مواجهتها يمنحها التاريخ والمستقبل والرجولة المعتدة • رفقا بي ياكنـــز الكنـــوز ياكنزي • نظراته تلتهمها وهو يغرس وجههـا في خـريطة بلده ويقـارن : هي أو الوطن ؟! القضايا والاسلحة والادوار والحـــزب وتعفن الواقع أو هاته المرأة : لا اختيار أقسى •وكان الالم الثري ، والفرح الارعن يوحد بين النظرتين • ثم أحست أن ذاتها تدخل كهفها الصلد وهي ترتمي على صدره في عنـــاق مدمـــر ••


الخروج

المصابيح في الاعالي تنشر جمودها الابكم . والشمس هي تلك الشوارع تنادي بصوت أجش . وهاته الغرفة قد اكسبها القدم رائحة العفونة . جمع نفسه وكان عليه أن يكد من أجل أن يطرد من أنفه تلك الرائحة . أطل من النافذة واستنشق بشراهة نفايات المدينة القديمة . ثم استدار نحو بقية الجدران وكانت عيناه تبحثان عن خلاص . استعادت جلسته استرخاءها وكانت الاوراق والكتب أغلالا سرية . استضاف لوحدته عدة كتاب حفروا وديانهم في صحراء هذا العالم القاحل . ولكن الخارج ؟

تلك هي القضية ! تذكر استدعاء صديق له قبل ايام ، فكسر حصار الغرفة وخرج . كان عليه أن يشتري بسمة . ومن أجلها دفع جزءا هاما من تصعيده ، دق تلك الدار التي يقطنها صديق المدرسة . باستمرار يطلب منه أن يسيرا سوية حينا بعد حين ، أن يفرجه على مباذل المدينة وأفراحها . وكانت رفقته تبعث فيه مللا ساحقا ، فهو لا يملك الا أن يقتل له فرحته ، أن يكشف له بذلك الفكر ، الذي لا يسالم حالة أو ظاهرة ، ان قبضته فارغة . ومن ثم كان كل منهما يعود للهروب من الاخر . فلكأن حركتهما تلك تكشف التشبث اليائس بما بناه أي منهما لنفسه من عالم ، لكنه الان يدق الباب ، بل يتفحصها كمدخل أساسي لابتهاج مباح . وكان اطارها الخارجي يعكس بذخا خصوصيا عليه بصمات رجل الاعمال الذي يؤمن بالذات والحاضر . وفي الوقت الذي كان فكره يحاول أن يقع على الاشياء : الحي والباب والمدخل والاسفلت والاشجار والهدوء والنسيم لينشر بلاغا تحليليا عن طبقة الحي وهمومهم وأفراحهم ، كان احتياجه هو يتدخل : اصمت ، فحاجتي الان هي استنشاق هواء ما .

ـ أهــــذا أنــت ؟!

أصـــــرت العجلات ، وكان هو مــــن وراء المقود يبتسم : أزرتني أخيرا ؟! • كانت هزيمة الصمت في الجواب • ( تفضل ) • والبساط الاحمر يغري العيون بالنظر • وهاته الواجهة الزجاجية تخفي عالم ألف ليلة وليلة • لم يكن متعودا على ملاحقة هذا البـــــذخ الانيق • والانتقال المباغث من القعر الى القمة يصيب بالاغماء • وهـــــاته السيدة مالها تترنم بصوت لا يبلغ سمعي ، والكأس في يدي ماذا يفعـل ( اشرب ) ( لا اشرب ) • وتكـــون قهقهة لذيـذة تجرح البراءة •

وأطلت نظرة مستاءة من العيون الجميلة وهي تصنفني بـلا لياقة • فيا سيدتي لو تجرعت الكؤوس التي أتجرع لكانت نظرتك الان غير هاته ! وكان علي أن أفعل شيئا • ولكن النجـــدة لا يأتيها الا من كـان قد عانى • وكان هو محتـــارا بينهـــا وبيني ، لقد كان هــو على الاقل يطل على من كوتي ، وكان أيضا يعرف مدى الاجواء التي أرحل فيها دونهما • ولكنه كان مثلي في الحصار ، مع اختلاف طبعا •

ـ سأهيىء لك كأس شاي بنفسي •

فأن نشرب سما لنحافظ على الوعي أمام هؤلاء خير من مشاركتهم أي رحيـــق •

وتـــــابع :

ـ على أمل ان أتقنه ليعجبـــك •

كانت اللهجة تحافظ على الود القديم ، غير أن جفاء ما قد دعـــم الجلسة • وهذا الجفاء كان موجودا في الاساس ، فانتساباتنا مختلفة ، ولكن ما بال زوجته تنصب دعائم أساسية لهاته الجلسة :

ـ أهذا هو صديقك الذي قلت عنه ان قراءاته ثرية ؟!

لقــد صنفتني وانتهى الامـــــر ، فلست في نظرها سوى متوحش تعدى حدود غابته ودخل خطأ باب التحضر •

اشار الزوج برأسه لها أن نعـــم وهو يغـادر الصالون من أجـــل الشاي • وكان غضب جهنمي قد كسا حركتها وهي تقـــوم ، لقد كانت كمن تلقى اعتداء قاسيا من بدائي • وكـان راسي يدور في الاتجـــاه المعاكس : انها ابنة وسطها بالتمام • والدوخة أساس في عالمهـــم لكي لا يـروا ما سيرغمهم • ومن حق طبقتها ألا تتنغص باختيارات يصعب عليها هضمها • وهل علينا نحن أن ندوخ في عالم يضج بالسحق • وحضر • كانت غـــرفة الجلسة تجعلني اتعسك بها أكثر • فهذا التضاد الذي يؤلم كلامنـــا علي أن أطيل أمد معاناته • رمى نظرته باحثا عنها • ولكن الموسيقى الخـافتة التي تسربت من بعيد أعطته مكانها • نظر الي مستأذنـــا وذهب • ولكن اوبتـــه كانت خائبة • انما ما هو هـذا الشيطـــان الجميل الـــذي جعلني أبتسم فرحا في وجه خيبته ، لقد كنت أغزو باعتداءات حضوري رتابة علاقتهم • ومن ثم كان الخـــارج ، حتى خلف هاته الجـــدران المكسوة بالازهـــار ، والاشجار ، يتيح معركة • فالارجل ، هاته التي يكبلها هذا العقل الشرس ، عليها أن تنطلق لتباشر قضيتها مـــع الخطوة الاولى • وكانت المـوسيقى الولهى تلوح لي كاحتماء ضعيف دون هجومي • ولم أكـــن من قبل مستعد للدخول الى الحلبة • ولكنهم هـــم ، يمدون لـــك ، دون أن يدروا ، رأس الخـــيط •

صب الشاي وكان صمته حزينا • وهل تدرون أن حزن الكبار هو خبز للصغار في الاغلب • ومن ثم تدلهت في المشروب وهو يسكب بشاعرية حميمة في الكؤوس • وكنت أتذوق انسكابه بانشداه عذب • ثم أرفـــع عيني ولا أخفضهما لعلي احتفظ ، والى الابـــد ، بهذا التدفق كما لن افعـــل ولم افعل • مد الكاس واعطى لوجهه حركة أوبة ، لقد عاد الي اخيرا :

ـ ارجـــو أن يعجبـــك •

ـ طبعا ، خصوصا وأنه من اعدادك •

ابتسم في وجهي ، وكان جوابي قد ربط الجسور بيننا من جديد :

ـ أرجو المعذرة من الاحراج السابق •

– لا احراج بالنسبة لي اطلاقا • فأنـا وأمثـالي متعودون على اللظمات لا اللمسات . ثم أضفت :

– بل أنا من يعتذر ، للسيدة بالخصوص ، ثم لك •

ولكونه كان بعرفني ، فمثل هاته التنازلات لا أكـون فيها صادقا • فكسر الحـدود وأتـاني :

– يا ملعون ، أوضعت مـرة أسلحتك ؟!

ضحكت ، وكانت ضحكتي من الارتفـاع بحيث تغزو الموسيقى والرقة والارتخاء المحتج • فنظر الي بتأنيب الصديق ، وكان على أحدنا أن يفكـر • أما أنا فقد كنت قد فعلت ، على الاقـل في الواجهة القريبة التي يمكن أن تكون مدخلا للساحة الحقيقية ، أما هو فقد أخذ يشكو :

– أتعرف ان اللياقة أحيانا كابوس !!

انه يحتج على ما يمثله • وهاته الرشحات من بعضهم لا أثـق بها ، وبيني وبين هذا المكان جفاء أساسي • وأن تكـون من فئة الكؤوس هـو الجواز عندهم لقبولك في أفيائهم • وأضاف :

– تصور ، ولو أنني أملك مقدرة أن أكون في كل ساحة ، الا انني عانيت معها أنني لا أستطيع أن أرقص معها في السهرات الا ( سلو ) ، فهي ترى أنها ضحية جهلي بأنواع الرقص الحديثة •

باي باي ! فيا خـيول العالم متى كانت صهواتكـم لا يركبها الا الاقزام ، ويا جياد الصحراء متى تقلصت أحجامكم ، فأصبحتم مسخا أمـام ذهن العالم ونظرته ، ويا نساء الخيام كيف أصبحت بطونكـن لا تلد الا المشوهين والعجزة ؟ • وكان الشاي قد تحول سما وهذا القبر القصر يقتل بكارة الاشياء والحقائق والانطلاقات والافراح وكل ما قد يؤلم •

كانت نظرته تنتظر أزرا •

لكن يا ابن سقط الحضارات ابحث عن مغشوش مثلـك ليساندك ٠
ثم ابتسم بنكد ٠

ـ ليست هي رقصات بقدر ما هي حركات مشوهة لجيل مجنون ٠
وكان الجنون الاعم هو هذا ٠ وأمامه لا تنفع سوق أصوات المدافع والبنادق ٠ وكان البيت والفكر المجرد مجرد زنزانة ٠ وهاته الجلسة سلاسل تكبل الخطوة الاساسية ٠ وكـان أولئـــك الكتاب في بيتي هم ايضـا في غياب عن هذا الاخطبوط الواقعي ٠ ومن ثم كانوا جدارا فكريا دون هاته اللخازي ٠ وتحولت نظرتي الى جهة أخرى في هاته المدينة : علي الان أن انتسب اليها ٠ ووقفت ٠ وحينما هممت بوضع الكاس كان تحطيمه قـد دشن خروجي ٠٠٠

# صحوة الجسد

تهاطلت الثلوج على اديم الارض وعلى الحواس ، فاقشعـــر جسد هند ببرد اضافي ، لان هذا الوعاء المحدود الطاقة يشكو التعب : لكن هـــذا التضامن في الاجهار على الداخل والخارج ما القصد منه ؟! ثم أخذت ملفها وسارت في الممر : أذ غالبا ما يعطيها حضورهـــا في قاعة الدرس بالكلية نوعا من التنويم · حيث يبطل استفهام العقل الباطن ، لتترك العقل الظاهر يصول على سطح الواقع ، ليعطي لاذان طلبتها معلومات في الاقتصاد ··

1 ) وهـذا الفيء الثري أحسه وأنـا أماشيه أو أسمعه · وكانت رفيقاتي وأنا طالبة بالكلية ينظرن الى أبهة حضوري في الدرس باغتباط ، لكن أن تغزو هاته الابهة حتى جلال الاستاذ الممتنع عن الجميع ، فهذا مالم يغفرنه · لكن جسارة العمر وثقل الحضـــور وذلك الافتتـان السارح على الوجه والجسد ، كان يمنحني الاعتقاد الاساسي في تلك العلاقة : فالطالبة هاته « أنـا » جـديرة بأستاذها الدكتور حاتـــم ··

2 ) ـ كيف المدينة وكيف أنت ؟

ـ المدينة بكماء ، وهي جزء من الدوامة الاساسية التي تطحـــن الاستثنائي · وأنا كـما ترين ···

ـ لكـــن هذا القنوط المستتر الذي يطفر مـن ضحكتك يقـــول اشيـــاء وأشيـــاء ؟·

ـ وماذا تريدين مني أن أكون غير ذلك ؟! فمن الاول حاولت أن أكون انسجاما متقنـــا ومتفاعــــلا مع كل ما هو طبيعي ، ولكن الآخرين بالمرصـــاد ...

1 ) لكني كنت فكاك عقدته فحسب ، أو هكـــذا وظفني ، بعد ان كـنت أنـــا احسسته وعشته : شخصا وبالمضمون والابعـــاد حيث فتحت له كل غور سحيق لن يستطيع بلوغه غير الفارس الاصيل ، ولكنه وبعد أن امتلك تحريك حواسه وانفعاله بي ، أصبح يسقط على كل حضور جديد ، لينتقم لحرمان الماضي وخجله . لن أقـــول انني انهزمت ، انها كلـمة مبتذلة لا تستطيع أن تصف ما استطاع حاتم أن يفعـله بي ، فذلك الهرم الكامل من الصفات والجدارات ، يكـــون أيضـا بمثل تلـــك الاحباطات والسحق لكل ما هو انساني .

2 ) وهل سلمت بالامر كما هو ؟.

كانت بسمتها هاته المرة كما هي ، صادقة مع نفسها ، في حدود ضيقة جدا ، لكنهــا غير مبالية أيضــا :

ـ انعرجت فحسب ، مارست حقوق جسدي بشكل آخر

وبـــــذهـــــول :

ـ وكيـــف ؟!

ففوجئت بذلك الهول الساذج ، ولكنها لم تقف عنـــده اذ قالت :

ـ أنت تعرفـين ليـــلي ....

ـ نعـــــم

× + ×

1) ليس في استطاعة ابنة العشريـــن أن تصمد أمام هذا الاجهاز الوحشي على القلب والجسد . احترقت داخليا وتماسكت خارجيا ، خصوصـ

وأن فقده كان خسارة ، لانه طـول علاقتنا لم يسمعني أو يريني سوى ما تتمنى أية واحدة أن تحلم به وأن تلقاه ، غير أن الواقع واقع ٠٠ تراجعت الى الوراء ، واستمسكت برصيد المجتمع ، وحاولت أن أجد فيه أي ملجأ ، لعلي لا أسقط ، اذ كنت أرى كثيرا من الافواه مرتـــقبة افتراسي ٠ غير أن التوزع على عدة شفاه لا يروق لي ، خصوصا وأن لغة القلب كانت لازالت تسيطر على قامـــوسي ٠

2 ) ركزت عينيها في المـارة ثم عادت ، بعد أن حركت حاجبيها ونظرتها بحـــركة لا مبالـــية :

ـ سأقول لك حوارا بسيطا ، كـان قد مر في حياتي ٠ ومـا كنت في وقته أرهنه لشيء أو حل ٠ ولكنه ظل في وعيي ، حتى انتفض نتيجة الضربات المهولة التي أثقنها الواقع ٠

ثم صمتت نتيجة حزن سرح بشكـــل غير مستتـر على وجهها ٠ فـردتهــا الاخـرى :

ـ ومـــــا هـــو ؟ ٠

عادت بشكـــل مكشوف الى وعيهـا ثم أفصحت :

1 ) عوض ذلك ، مارست عدة انشطة ، كنت أجهد نفسي ، لابقي هذا الكيان في دائرته الحقيقية : نموذجا ، بعـــد أن أصبح الحب ندما ، وكنت أستولد نفسي في مشاريع عديدة أثارت الانتباه في مجالها ، وكان البعض يعلق : انه تعويض فحسب لكـــن ماذا يريدون مني أن أفعـل ؟! ألـم يكفهم ما فعله أحدهـم بي ، اذ لو كنت أملـك السلاح الاساسي :ـ عدم البراءة ، لكنت قد وضعته في مكانه الحقيقي ونجوت ٠ ولكنني لـــن اندم : فلقد كنت أمارس توازنا نادرا بين القلب والجسد ٠

2 ) ـ كنت طالبة في الثانوي ، وكانت الاستـــاذة الفرنسية لا تجعل لدروسها أية حدود • لقد كانت تريد أن ترحل بنا الى الاجواء التي لن يأخذنا اليها أي أستـــاذ آخر •

ـ وكـــــيف ؟

ـ مثلا تحثنا على المطـــالعة ، ثم تناقشنا فيما نطالع ، وهـــو عموما خارج المادة التي تدرسها ، من أجل تنويع الروافـد ، حتى تساعدنا على تكوين قاعدة ثقافية غير محـــدودة بالمعلومات المدرسية الروتينية ، وبذلك كانت الساعات تمر معها بشكل غني •

ـ وماهو ذلك الحوار بالخصوص الذي أشرت اليه سابقا ؟••

× + ×

1 ) وسارت الايام فيما تريده هي أولا ، ثـــم فيما نريده منهـا قليلا •• وبتعاقبها المكرور وجدتني مي احـــدى نشاطاتي وجها لوجـــه أمامه : اسم آخر ودلالة أبعد ، انه غير مشروط بالحيثيـات الاجتماعية ، ولكنه خارج عنها ومؤثر فيها لانه فنان •• يملك لغة وممارسات ونظـــرة خاصة للعالم والناس ، وكان بقدرته يملك الواقع ويصوغه في تنظيـــر مستقبلي يجعله كالالـــه يحمل لك الغد : شدهني هذا النموذج الثائر على لغة الارقام وتحديـــد المسافات ، خصوصـــا وأنني لا أتقـــن سواها ، فاستمسكنا ببعض ، وأخذ كل منا يدخل على محيط الاخر أبجدية جديدة ، فتلاقحت الارقام بالالـــوان والخطوط ، وأينعت الحـــواس وترعـرع الجسد وعادت الحياة للقلب المخذول ، وبدأنا ننتسب لسطـــح الارض وخصوبتها بالاطراف والمدركات ••

× + ×

2 ) كانت احدى الزميلات قد أثارت ما قرأتـــه في احدى الروايات حول ما يدعى عند بعض الشرائح الاجتماعية ، بالعلاقة الشاذة التي تقوم بيـــن جنسيـن متشابهـــين ••

ـ أكنتن تصلن الى هاته الـــدرجة من الانفتاح في الحديث مـــع أستــــاذتكــــن ؟!

ـ نعم ، لانها غير مثقــلة برياء الحياة كما هو عليه واقع الانسان عندنا ، حيث أنه يمارس ماهو أكثر فظــاعة وسقوطا ويسدل على وجهــه مسحة من حشمة ، ثم ، لانها ابنة حضـــــارة تضمن الحرية في كل ميدان أساسا •

ـ وماذا قالت لكـــن ؟

ـ في الاول كان الفصل يموج باستنكـــار يطبعه النفاق ، ولكنها كسرته ، وعالجت الموضوع بصراحة ذكية •

ـ وكــــيــــف ؟

1 ) لم يكن اللون بأرفع من القلم في الممارسة • لقــد كانت نزوة بالنسبة له وكفى ، أعطته وضوحا مؤقتا في الـرؤية والالوان والخطوط ، ثم أصبحت ثقلا يعلنه كل مرة بشكل ، بالاضـــافة الى ممارسته للابتزاز بادعاء أنه فقير رغم راتبه حيث انه هو أيضا موظف •• وكنت أغمـــض عينا وأفتح جزءا من الاخرى فحسب ، لئلا أرى الصورة في تمام بشاعتها ، مقتنعة ادراكي بأن الواقع الاجتماعي بكـــل أوبائه لن يستطيع أن يـــفرز النموذج ولو حتى في هاته المجالات الفكرية والفنية •

2) ـ لعلي قد أصدمك أنت ابنة التراث المحنط بالقرون ••

ـ ولــــــو ••

ـ انها ترى أن حتى ما اتفق الناس عليه من تسمية تلـــك العلاقة بالشذوذ ، فهي ليست غير رياء اجتماعي فحسب ، اذ العلاقة بين الجنسين ليست شذوذا حسب التسمية ، ولكنها علاقة ككل علاقة أخرى •

ـ ولكنها غير طبيعية بالفعل ؟٠

ـ أنت تكررين ما علمه المجتمع لك ، وما هو قد انغرس في لاوعي هذا المجتمع ليعلمه للسذج أمثالك ٠

ـ انني لا أفهمــــك

ـ تستطيعين أن تفهميني لو كنت قد جربت و٠٠٠٠

ـ يا حفيظ ٠٠٠

ـ ليس الاستنجاد لك ، ولكنه صوت المجتمع المريض بالنفـــاق يخرج من صوتك ٠ والحقيقة ، أن كل انسان يحمل في طبيعته الاصيلة ميولا من هذا النـــوع ٠٠٠

ـ غير صحيح اطلاقا ٠

ـ قـد تتنطعين أنت نتيجة الرواسب المشينة التي تثقـل قدرة البحث والاقتناع لديك ، ولكن غيرك وغيري : فرويد يقول ذلك ٠٠

ـ حتى هو يقـــول هـــذا ٠٠٠٠

ـ هو أصلا من قال ذلك ، فتلـــك الميول أصيلة في الانسان ، ولكن المجتمع هو الذي يرمي عليها الرواسب عند البعــض ، ولكن الظروف تجعل الحــر يطلعها الى السطح ويمارسهــــا ، والبعض الاخر يكون مـن كثافة الحس ، بحيث يخضع للمتداول ، للصوت المشبـوه الغير الحقيقي للمجتمــــع المستبـــد ٠٠

× + ×

1) أخيرا دخل سعد علي امرأة شوهاء وتركني دون تبرير ، فأصاب الزلزال الارض والسماء ٠٠ خصوصا وأن جسدي كان قد أصبــح في أوج تفتحه ، ولم يكن في مستطاعي قط أن أخرس صــراخ مسامه ، لانه تعود على اشباعها ، بل كنت قد تجاوزت ذلـــك الى البحث عن اللذة الـكاملة التي هي طريق الوصول الى الموضوعي والمطلق كمـــا يرى ابن عربي ٠٠٠

فكان لا بد أن أشكل من الواقع والخيـــالي ، من الوعي واللاوعي ، مـــن الحاضر والمستقبـل ، من الاجتماعي وضـــده : موضوعا للبحث المـــادي ۏالفكري ، ولاخرج بحصيلة لن تجعلني أعيد النموذج المهتـــز الذي كنته ، على الاقل في هذا الميـــدان ، وبذلك اخترت ..

2 ) ـ ماذا أفهـــم من ذلـك ؟!

ـ لقد اخترت .. ، وكان اختياري نتيجة هذا الوضع الاجتماعي المريض الذي يأبى الصحة في كل شيء : في الظاهـــر والخفي ، ونتيجة الممارسة الغير الخجولة لكـــل ميل ·

ـ وماذا اخـــترت ؟

ودون تردد أو استجداء حياء قالت :

ـ ليلى .. لقد سألتك من قبل هل تعرفينها : انها كانت جوابي الحاسم على الاشكالية الذاتية والمجتمعية في الدائرة الواقعبة الحالية ..

ثـــم تصادمت قهقهة لا مبالية بانزعـاج ساذج ....

# أحوال

رقـــم (1)

ترسل الشاشة صورها كبهلوانى مجانى ثقيل · تريد أن تسرق الجموع من حضورها المحمل باليومي وما بعـــده ، وكانت الجدران تسندها فتتطاول لتتكسر النظرات على امتدادهـــا كخندق عميق · وفي الاسفـــل صاحت هـــــدى :

ــ مامـــا ·· انظرى القلنسوة على راسه !، كم انها جميلة ! ·

ورفعت الام عينيها ، لكن الشاشة ، بل احتيـــالها فى اللعب بالصورة لا يشد اليها سوى اهتمام عمر عقلي وزمني معينين · وتركت الجلسة واخذت أصابعها تلعب بابرة الصوف ، كانت تحقق جدوى ما ، وكان ذلك هو ما يشدها الى مرفا لم تصله بعـــد ، وسلت خيط الصـــوف من تحت جلسة هـدى : « ألن تراجعي درس الحساب بعد ؟! » و « لكنني أنتظر أبى ليساعدنى ··»

رقـــم (2)

تتراقص السيارة على الاسفلت بمـرح وحشي · وكانت القهقهات توسع ضيقها لتصيح نعيـــمة :

ــ أريــــد كأسا هنـــا ···

فأجابهـــا ابراهيم :

ــ الك بطـــن أم متاهة ، الم تمتلئ بعـــد ؟ !

فاعتـــرضت صبـــاح :

ـ أتحسبـــون علينـــا حتى متعنـــا ؟ !

فاستـــدرك حســـن :

ـ نستغفر الله · انه يمزح فقـــط ·

وتطوعت رجاء لتحـــكي نكتة حتى تستـــرد السيارة والسرعة والرحلة والوجوه ما هي له ·

كانت الشقة الصغيرة تضيق بمن يجتاز بابهـــا ، ولكن بهيجة تعرف كيف توزع الجوق على الزوايا ثم كيف تشحنه فى الرحلة الجماعية الى عالم الـــدوخة والسحر · ومـــن ثم كان بابها يكـــاد يظل مفتوحـــا للآتـــى والرائـــح ·

رقـــم (3)

ـ خذى دفترك ، سأحاول أن أساعدك شخصيـــا ·

ـ ولكنك لا تفهمين فى الحساب يا مامـــا ·

ـ مع ذلك سأحاول كما قلت لـــك

ـ أليس من الاحسن أن انتظره قليلا ، فلعله يحضر ·

كانت ، وباستمرار ، لا تريد أن تترك ابنتها تدخل معهـــا لب الازمة التى تكاد تقوض هذا البنيان المهـــزوز :

ـ قد يتأخر اكثـــر ، فعمتك تريده لامر هـــام ·

ـ وهـــل كل ليلـــة تريده عمتـــى ؟ !

ان بينهمـــا اشيـــاء كثيرة ·

فاحتجت الطفلـــة :

ـ فلمـــاذا لا تأخذه اذن حتى تنتهى منـــه ·

تلك هي المشكـــلة يا هدى ، أن يؤخـــذ أو يحضر بالتـــمام ، لكى لا يظل الزيف قائمـــا ، فتكبـــرى أنت لتكـــونى أيضا ضحيتـــه ·

— لماذا لم تردى يا ماما ، فاذا كانت عمتى تأخذه كل ليلة ، فلماذا لا تريد عمى ايضا كل ليلة ؟ !

كانت هدى تطرق الباب بلا هوادة ، ولكن خديجة تشدها الى الابعد ، محاولة تأخير الارتطام ، لعل حلا يقع .

— سنحاول الآن أن نقرأ معا هاته الواجبات ، وعندما يحضر ، اسأليه انت .

رقم (4)

فأن تكون ارادة وكفى ، فأنت لست بانسان . وتلك النوازع الاخرى هى معبرك من يومك لغدك . والتضحية دون بديل ليست سوى عقم . وتبرير رذائل الذكر وحده يعتبر مهزلة . وتطاول الرجل فى المجتمعات المتخلفة يجب أن يقمع بكل شكل من الاشكال . وهاته الغباوة المطلقة تطحن المدان والبرىء . ودعوة الجسد شىء حتمى . وان تكونى جبروتا فى وجهها فانك تحاربين فى جبهة هشة . وأن تحمى لوحدك هموم العالمين فانك لن ترحلى . ووضع المسؤوليات فى اماكنها يساعد البصر والبصيرة . ولكى تكونى من أنت ، يجب أن ترتبى الاشكال والصفات بتنظيم . وهذا الجهاز ماله لا يصمت ؟ ! ..

رقم (5)

السيارات تعبر الشارع بهوادة . والراجلون يسيرون فى الاغلب اثنين اثنين . وفرح برىء يهاجمها . فهل يكون الشارع ، هذا الشارع بالخصوص يملك أن يفرح ويفرح ، ولكن سناء تدخلت :

— لا أستطيع الا أن اشد على يدك . لقد كنت شجاعة فى تحملك .

لم تتنهد خديجة ، بل أجابت :

— كنت فى الاول ، مسحوقة بتجاوز مدلولات وممارسات القيم ، بعضها بالخصوص ، وكانت تلك هى عقبتى الوحيدة ، فأن يصل المرء

الى أن يختبر فيما اقتنع به من مثل ، فاعرفى أنه قد وصل الى قمــة المعانــاة ، حيث كنت قد تجاوزت ما تمثــله علاقاتنا البركانية ، لقــد أصبحت أملك الخطو لالحق به واتجاوزه وامــرغ كل عــالم منافق فى حقائقه : حقائق الليل الوسخ ، غير أن هدى وبعض القنــاعات كانت مع ذلك تؤخر الخطــو السريــع ٠

مدت يدها وتنــاولت مشروبهــا ، وكانت تبتسم لكل ثنــائى منسجم ٠ واضافت سنــاء :

ــ سألت عنك فاطمة لما انقطعت عنى أخبــارك ٠٠ التقيت بها فى طنجــة ٠

ــ لا داعى لمن يبلغك باخبــارى ، فمن طبعى كما قد لا تزالين تتذكرين ــ اننى ألعب فى وهج الشمس ، حيث ان من يستطيع أن يتجاوز اختياراته وقنــاعاته ، فان زيف المجتمع يصبح لديه درجة واطئة ٠

ـ انك جريئة كما انت دائما ٠

ــ عفوك ،، ففى البدء ، حاولت أن أمنطــق الحدث حسب شروطه الموضوعية ، وأن أصنع التبريرات حسب الظروف الاجتماعية لمرحلة نعيشها جميعا ، ذكرا وأنثى ٠ غير انني اقتنعت من بعــد ، أن ذلك انمــا هو ورقــة أخرى يرميهــا أحدنا : هو وأنــا ، لتبريــر عنجــهية همجية لصلف غابوي ما زال يعشش في ذهن ونفس الفحل العربي ! ٠

قهقهات ٠٠ والمقهى تطل بعيونها البلهاء على جلستهمــا ٠ وكانت الصدمة هي سلوبها الجديد في الايقاظ ( لقــد تعودت على رأيهم باللمس أو النظرة : ما هو مباح لهم فهو محرم عليك ) وصفقت بكفيها وطلبت الكأس الثانية ( اشربي ) مست الكأس الشفة وكانت هي والعينــان والاذنــان تنصت لخديجة :

ــ كنت قد قررت ان اقطع مراحله في مرحلــة ، ولقد كنت أملــك جبروت القرار والتنفيذ ٠ ولكن سفره فى بعثة عمل الى احدى دول الخليج جعلني أتراجع ، لقد قلت لك : لا أريد أن ألعب في الخفاء ، فتلك الانثى

الحقيقية لم تكن تريد ان تسقط ، ولكنها فحسب تريد ان تهز وتمرغ معاييره ومعايير اجتماعية معينة ، ما دام الحوار لا يسمعه الصم · انمت القرار ، وكنت في شغل عنه · باندفاع جديد في عملي ، وظللت أنتظر · وسرعان ما عاد : لميطق الشمس والعمل · وكانت فرصتى ·، ولك يا سناء ان تتصورى أية جدارة كنت اسقط بها الاصنام والوصايا العشر التى خصصوها لنا فحسب ·· كنت أنتقم للبراءة والصدق والخطو الحقيقى والعلاقة والبسمة والكلمة وما يسمى ولا يستمى ··

رقم (6)

— ابى ، اين ماما ؟

— لقد تأخرت ·

— اتكون هى ايضا عند عمها ·

فغير :

— الا تريدين مراجعة الحساب ؟ !

محكمة :

····· باسم الحق والقانون ، تصدر هيئة المحكمة فى حق السيدة خديجة عبد التواب ما يأتى :

— حرمانها من ابنتها

— حرماتها من العلاقة الزوجية الشريفة !

— حرمانها من كل الحقوق التى لها على الزوج

— عدم أحقيتها فى اى مطلب مادى مما كانت تملكه سابقا ·

— السجن مدة خمس سنوات ·

قهقهـــات ·· والتفتت كل الرؤوس صوب القفص ·

## الهزيمـــة والنصـــر :

خسئت يا بطولة تصتول داخل الدهـــاليز والمنصات فحسب ·
واشهار اسلحتكم على الوجوه التي بلا أقنعة لا يؤخــــــر اليوم الفصل ·
وحينما يتكالب قانونكم وعربدتكم لتأبيد خلق المالك ، فان الواقع من تحت
أقدامكم يتحرك · والبلادة المتعمدة في عــدم البحث عن الادواء الاساسية
لا يعفيكم من الرجة المنتظرة · وهاته القاعة ليست غير مجزرة اضافية
لآكلي اللحوم الانثوية · واللذة قد تكون عند المرضى ، في الفراش أو على
منصة الحكم · وجيل آت سوف يعيش لذته بالصدق والوضوح · والعهارة
الاخلاقية والفكرية ليست سوى تعرية لوضـــع مأزوم · والمرض حينما
يستفحل لابد له من علاج · وعــلاج البيوت الصماء هـــو كسر صممهـا
بنفس اللغة · واخراج الادواء الى الساحة العامة هو التعرية اللازمـــة
لاتقياء الدعــــارة · وان تستهزئي انت نفسك بمـــن قد استهزأ منهـم
التاريخ لا يجدى فتيلا · ومحاولتك قلب الصفحة يجب ان تكون بثمن ·
وحينما نمد أبديا جماعة فلا بد أن نمدها في الاتجاه الصحيح ·· لكن ··
لكن ·· لكن كيف ومتـــى ؟ ؟ ؟ ؟

# التنفيذ المؤجل

كالدبيب الراعش وكالموج المداعب وكـبدء الخدر وكالدمعة الوحيدة
وكالحلم كان يغزو الجسد المحترق بكـــل شوق للخصب الموعود • وكانت
الرقصة الرشيقة تحمل قاسيون وزلاغ الى العمق والى المدى في تـــلاق
فرح • وأنت يا سيد الكشف في التـــل اليتيم تغرس نظرتك بالاسفـل
وتتحدث وقفتك بهذا التيار الجارف المعربد من حواليـك • وتظهر شجرة
الارز وهي نبارك الخصب في الخلـــوة والاغتراب وسط الغـابة واصرار
الجدول على أن يخصب المنبسط • وهاته البسمة ، بل وهمها مع اهتزاز
الجفن بكل نداء الفحل يستجيب له نسغ الارض وعروق الشجر ومنبـــع
الجدول وثغاء الشياه وخاصرة الراعية وساق الاعشاب الا هي • تتمـــدد
على مشيها ويسكنها الربع وتتحلل وتصبح هوسا مطلـــقا يتحد بالطين
والرابية والبحيرة وجدائل الصفصاف الا بك ، فهذا الاخذ المباشر يسطـح
الابحار في الذات والطبيعة والواقـــــع ويقيد الحركة عن اللهاث السرمدي
بحثا عن الآتي ، فملا تدري أي سعر يعشش في المدرك فيهـــا واللامتناهي
من أجل هذا الوصـــول • أن تحقق هي الساحة وفي دلالة الساحة الموقـــع
الحقيقي • ومن هذا الشوق اللافح الذي تستطير شراراته من مسام الذات
ومن ذرات الارض يصبح الخطو هرولة والنداء صياحا والدور الحالي غبنا
وأنثاك تلك تتركها لك وتتفجر دمـــــعة يتيمة في المآقي المفتـــوحة على
العوالم الاحزى والاحزان الكبـــرى المخزونة في العمق والـــــواقع وأنت
تحتج • « لا داعي لان تمثلي دور المراهقة » وتكون بسمة حزينة حـــزن
قضايانا هي الرد على المسافة التي مددتها بيننا • فيامن كنت سيد لحظة
ما هل تظن أن كل الاناث يرتمين عند أعتاب ندائك ويسفحن خصبهـــن
على مرابع لهاثك ويستظللن بقوامـــك المترع بكل الكؤوس المستطابة •
وتغمض العين وتسد بقية المنافذ ويلذ لها أن تتركك في بطـولة خاطئة •
فتلك ليست من قضاياها ، وهذا الخصب النامي الجـذلان بفصله يبعدها

عنك ويدمرها بكل استفهام • فمتى يعـــم الخصب كل حنايا الواقع ؟ ، متى يلتقي خصب الارض بخصب الانسان ؟ متى تتخصب نظرة الرجـــل الى المرأة ويدرك فيها استجابتها للنداءات الكبرى ، حتى تـــذركني ؟؟ • ••• ويقول الزمن ان دورة ما قد تمت لذلك فهي لا ترحمك :

ـ ألا تأخذني اليـــــه ؟

وعيونك طافحة بكينونتك كلها ، تتفجر تنحـــرق تبدع وتفنى • ولم يكن هناك من مضمون حاضر الا ذوبانكما النـــهائي في بعض ثـــم البعث الجديد • فيارحمة الرب أما تركت للانسان حتى ولو قدرة أن تنصهر ذاته في الآخر ليعيد خلقه وخلقك من جديد ؟••

ـ من ياروحي ؟

تتماوج الافراح والاتراح وتتغـــــور • وأن تضعك فوق مستوى البطولة فان ذلك ما لن تتحمل • وهـــاته القعدة كم أنها تتمدد في الزوايا والربوع • ونظرتك ألـــن تكفها عني ؟•

ـ أحمـــد سعيد

من قبل والضياء يتمدد في الامـــام ، والقاعة الكبيرة مغـــزوة بالمعرفة وبصوته ، كان حضورك يتطاول على المعرفة وعلى صوته ، وكان فرح الطفل فيك يصول على الاذرع الممتدة على أكتاف المقعد ، وفي رعشة رأسك بالسلام ادانة ووله ، لكن القـــاعة والمكاتب الاخرى وبقية الفصول كانت مصرة على اتمام المشهد ، ففعلت • « أقدم البك الاستاذ هيثم » • تضاربت العيون والايدي والتحـــية • ولكنها هي ، كانت في الحـــياد ، بعيدة عن الماضي والحاضر وحـــتى عن الذات ومنغمرة في حنان صفيـــق للمحاضرة اليتيمة والتدله الموجع • فياسيد الحاضر أما تدلني على طريق الابحار لسيد المستقبـــل ؟•

ـ من أحمد سعيد هذا ؟•

أبعد اطمئنانك على سلامتـــك من اسم الماضي وحضـــور الماضي ، فها أنت تفاجأ بالمستقبـــل ••

تتحدث اللوعة وتفور الاعصاب ويفصح اللسان :

ـ لـــقد تحــــــداني

كانت الساحة ، ساحة معينة لمبارزة معينة قــد انغرست بالتفاح والعنب وزهر الليمون ، وكانت أسلحة المبـــــارزة قد خبأتها في متحف الماضي ، ولم تكن الوسائل الجديدة غير لغة الخصب ومد الجسور وتــرك الاغاني تصدح لتخصب كــل الاسماع ، لكنه الان مالـــه يقيم الحلــبة ويدعوها : هيـــا ؟؟ .

أما صوته ، صوت الآخر .. صوت الماضي والمعرفة وهو يؤكـد :
« لن يكون معك سوى من يفهمك ، من يستطيـع أن ينحني للتيار ليمكنه ان يستغني بخصبك من بعد » لكنه أحمد سعيد يتطاول رغم بعد المكـــان وخارج الزمن مبارزا ماهرا مستعمـــلا الاعتداد والسلاح نفسه ، مفجــرا الهموم الكبرى وأحزان الآبـاء ومذلتهم ..

ـ أنت ياروح هيثم تضيعينني أحيانا في متاهـات لغتك أو جنون رغباتك ، فماذا تبغين ؟

ـــ هـــو ؟؟

والذات كلها تتمزق في نداء وحشي لمبارزة خصبة بين رجـــل وامرأة من أجل قضية ، فاغترابه في تجربته ، في اكتوائه بفيض ثرائه ، في توحده في انسانيته أو تصعيده ، في ذلك اللهاث الظمآن لممارسة حقيقية حيث تتحلل كل التماسكات ويصبح الجسد مدى ومادة مخصبة وهي تتوحد بالاخر لتنطلق الشرارة الاصل : شرارة الخلق الاول ، فيا احمد سعيـــد أتسمعــــني ؟؟ .

وتلك الحدود ، كل الجمارك ، وكثـــل الصخر ، والابدية الصماء ونــدائي : فيا أرض الرسالات بالامس واليوم ، ألا زال سطحك ، اسفلت شوارعك مضمخا بعبير نفسه ، معطاء بكرم خطوه ؟؟

امتدت اليد بتؤدة رخية ، وهي تحتضن الغـربة في هذا الشوق

للالف الذي لن يكون • فياهيثـــم أتفهمني ؟ أتفهـم الفهم في عدمه : في فهم امـــرأة بالخصوص •

ـ عزيزتي ، انني لا أعرف أحدا بهذا الاسم ، الا أن يكون الكاتب الفلسطيني ؟•

حملقت العينان فيه بتصديق وهلع ، فهل تكون قد وصلت ياهيتم الى الشطآن الحقيقية ، حيث الحلبة المنتظرة ••

ـ لكن مالـك ولـه ؟!

ـ تلك هي القضية ، فبيني وبينه القضية الاساس ، الهوية العامة والخاصة ، ثم بقية البحور التي علينا أن نحرك فيها المد والجزر لتنظيف شطآن بحرنا المتوسط الوسخ •••

••• ولو ، فهذا الرأس حينما توسده صدرك الخصب فانه لـــن يستسلم • وحنوك لا يبعد عن نظرتها السماء وهي تنجلي فوقكـم وفوق أرض أحمد سعيد ، ومن تحت ضمتك تمتد الدروب المـوصلة الى المعركة • والسلام المغشوش يسقط دفعة في صميـــم الحرب • واستيقاظ الانثى في توقيت واحد مع القضية شيء حتمي • وحينما أصبحت خطوتها تفلتـــه من دعة التل فانـــها تقصد المشاركة في العاصفة ، ولذلك فهل تأخـــذني الــــيه ؟•

وأمام هاته المواجهة بين قلب وعقل قاسيون وزلاغ ، كان جبـــل التكذير ينتظر ، وفي غور من أغواره يصوب أحمد سعيد فوهة بندقيـــته نحو السلام المستسلم ، ونحوهـــا ونحوه • فدارت عيناك دورة الصحو ، ولان نظرتك تملك موهبة الكشف فقد امتلات دمعا ودما قبل أن تقول :

ـ لقد نشرت وكالات الاخبار منذ أيام خبر استشهاده يا عزيزتي •

الهواء يمتنع عن أن يكون الهواء أحيانا •

والتفاهـم يكونمع كل شيء الا مع الموت •

لكـــن الشهادة غير الموت ياعالـــم •

والخبـــر والمستحيـل سواء ٠

فيا أرض الرسالات أيظل عشقك لدم أبنائك سرمديا ؟ ٠٠٠

لكن الحقيقة تتمركز ،، والمشـــاركة في الانتساب للاغوار تقتضي التسليم بأن الموت يساوي الحيـــــاة أو العكس ٠ وأن يرتفع صوتك من جديد بالتكبير ياعمر فيلزم ان نكـــون كلنا أحمد سعيد ٠ لكن من جعل الخطأ خطأ في الاول ٠ ولن يسترد الصواب غير كل أحمد سعيد ٠

امتزجت قطرتنا ماء مالح مـــن عيني قاسيون وزلاغ فعـم التيار سبو وبردي ٠ وكان الهواء قد بدأ يجـد طريقه من جديد الى تنفسها وهي تشهـــق :

ـ حينما يتجبر التاريخ ليجعل من بعض الاسمـاء رمزا بسرعة ، الن تكون أنت الحضور الموضوعي فيه ؟ ٠٠

وابتسم الوجهان ، فانكشفت الطريق الممتدة نحو المعركة ٠٠٠

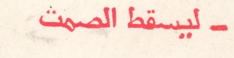
مطبعة الرسالة
11 شارع علال بن عبد الله
الرباط ( المغرب)

1979

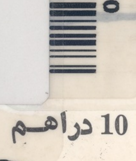


صدر للكاتبة :

- ليسقط الصمت 1965



- النار والاختيار
- الصورة والصوت
- الغد والغضب : رواية تحت الطبع ست...





10 دراهم